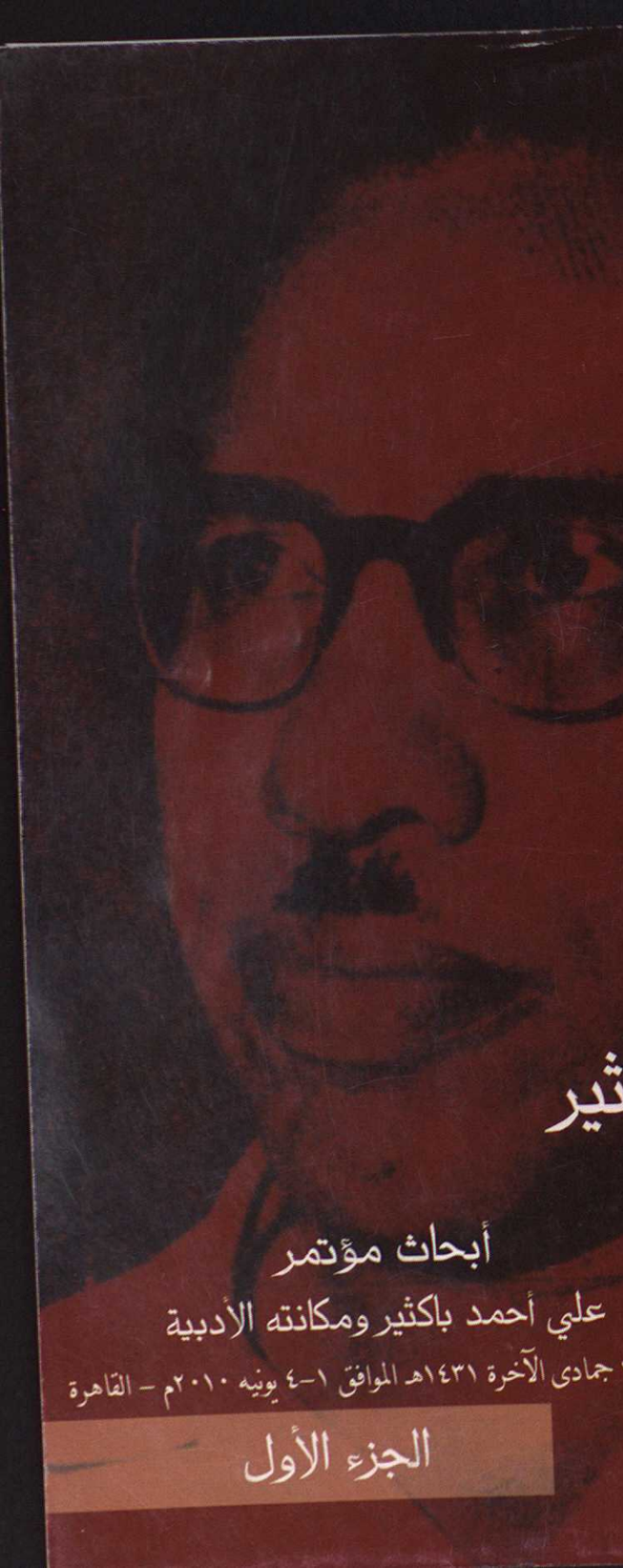

مسرح

علي أحمد باكثير

أبحاث مؤتمر

علي أحمد باكثير ومكانته الأدبية

١٨ - ٢١ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ الموافق ١-٤ يونيه ٢٠١٠م - القاهرة

الجزء الأول

أبحاث مؤتمر علي أحمد باكثير ومكانته الأدبية

مسرح علي أحمد باكثير

1

الغلاف ... د. خالد سرور

يعد علي أحمد باكثير واحدا من أعظم الأدباء العرب المسلمين في القرن العشرين. ولعله الوحيد بين أبناء جيله الذي تفرد بإنتاج غزير في الفنون الأدبية الأساسية، وهي: الشعر [illegible] والمسرحية.

ورغم أن جل إنتاجه كان [illegible] والرواية تجعل باكثير [illegible] إلا أن الريادة التي حققها في الشعر [illegible] روائي، يزاحمان باكثير المسرحي، فإليه تنتسب ريادة الشعر [illegible] ترجمته مسرحية شكسبير الشهيرة "روميو و[illegible] عندما كان طالبا بقسم اللغة الإنجليزية [illegible] مسرحية "إخناتون ونفرتيتي"، الأمر الذي جعل [illegible] إسماعيل يقول إن حركات التجديد في القص[illegible] الشكلية والمعنوية [illegible] تظل مدينة لتجربة باكثير "[illegible]" إلا ما أحدثه باكثير حين كسر وحدة البيت وطرفي القافية بعمودها [illegible] مع اتخاذ التفعيلة أساسا للبناء الموسيقي".

وفي ميدان الرواية يحسب باكثير رائد الفكر الإسلامي المستنير في الرواية العربية التاريخية، ولو لم يؤلف إلا "وا إسلاماه" و"الثائر الأحمر" و"سلامة القس" لكفته هذه الأعمال خلودا في هذا الفن.

وحسب الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، ورابطة الأدب الإسلامي العالمية، أن يلتقيا على قمة باكثير لقاء العروبة والإسلام، وهي الفكرة التي عاش باكثير مدافعا عنها، مكافحا في سبيلها، ومات من أجلها.. فمن حقه علينا أن نتذكره وفاء بعد مرور 40 عاما على وفاته، ونحتفل بفكره وفنه في الذكرى المئوية الأولى لميلاده.

www.gocp.gov.eg
www.qatrelnada.com.eg
www.althaqafahalgadidah.com.eg
www.odabaaelaqaleem.com

موقع الأديب
★ علي أحمد باكثير ★
www.bakatheer.com

أبحاث مؤتمر باكثير

"علي أحمد باكثير ومكانته الأدبية"

١٨ -٢١ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ الموافق ١ -٤ يونيه ٢٠١٠ م

القاهرة

الجزء الأول

دراسات في مسرح باكثير

تقديم

أ. محمد سلماوي

الأمين العام

للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب.

د. عبد القدوس أبو صالح

رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية

راجعها وأعدها للنشر:

د. محمد أبو بكر حميد

مقرر المؤتمر ورئيس لجنة التحكيم

وزارة الثقافة
الهيئة العامة لقصور الثقافة

مطبوعات
الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة
د. أحمد مجاهد
أمين عام النشر
سعد عبد الرحمن
الإشراف والمتابعة
جمال العسكرى
الإشراف الفنى
د. خالد سرور
الإعداد والتنفيذ
إسلام بيومى

• أبحاث مؤتمر باكثير
• الجزء الأول.
• تصدير: محمد سلماوى
د. عبد القدوس أبو صالح
• الطبعة الأولى:
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2010م
17x 24 سم
• تصميم الغلاف: د.خالد سرور.
• المراسلات:
باسم / المشرف العام
على العنوان التالى: 16 أ شارع
أمين سامى - القصر العينى
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947897
البريد الإلكترونى:
elnashr@yahoo.com
التجهيزات والطباعة:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

• حقوق النشر والطباعة محفوظة للهيئة العامة لقصور الثقافة.
• يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن كتابى من الهيئة العامة لقصور الثقافة. أو بالإشارة إلى المصدر.

محتويات الجزء الأول

تصدير : أ. محمد سلماوي ــ د. عبدالقدوس أبو صالح ٨

علي أحمد باكثير.. سجل بتواريخ أحداث حياته وأعماله ١١

المبحث الأول

علي أحمد باكثير مراحل مجهولة من حياته

وريادات فنه وفكره ..... د. محمد أبو بكر حميد ٢١

المبحث الثاني

استلهام الكتب المقدسة في مسرح علي أحمد باكثير.. د. محمد حسن عبد الله ٥٩

المبحث الثالث

الفكر الإسلامى والأيديولوجيا العربية فى الأدب التمثيلى السياسى

عند باكثير ..... د. أحمد السعدني ١١٢

المبحث الرابع

الشخصية اليهودية في أدب باكثيررؤية تحليلية تداولية .. د. إدريس مقبول ١٣٥

المبحث الخامس

تطويع الأسطورة الأجنبية للفكرة الإسلامية في

مسرح باكثير ..... د. حامد أبو أحمد ١٦٤

المبحث السادس

ملامح الاتجاه الإسلامي عند علي أحمد باكثير ..... د.سعد أبو الرضا ١٨٢

المبحث السابع

بلاد الشام والرافدين في مسرح باكثير مقاربات

فنية دلالية ..... د.عمر عبد العزيز ٢٠١

المبحث الثامن

جماليات البناء الفني في مسرحيات باكثير

السياسية القصيرة ..... د.عبد الحميد الحسامي ٢١٤

المبحث التاسع

مسرح باكثير السياسي بين التسجيلية ودراما الأوتشرك. د.أبو الحسن سلام ٢٤٣

المبحث العاشر

توظيف الحضارة المصرية القديمة فى مسرح

على أحمد باكثير ..... د. صوفيا عباس ٢٦٩

المبحث الحادي عشر

قضايا الجهاد الليبي ضد المستعمر في

مسرح باكثير ..... د. الطيب علي الشريف ٢٩٥

المبحث الثاني عشر

التراث في أدب باكثير المسرحي ..... د.عزة منير ٣٢٧

المبحث الثالث عشر

الإسقاط السياسي في مسرح باكثير ..... محمد عباس محمد عرابي ٣٣٩

المبحث الرابع عشر

توجيه الأسطورة في أعمال باكثير المسرحية ..... د.هادي رضوان ٣٧٨

المبحث الخامس عشر

مسرح علي أحمد باكثير دراسة سيميولوجية ..... د.مصطفى الضبع ٣٩٢

المبحث السادس عشر

المكونات الفنية في مسرح باكثير الملتزم

بالقضية الفلسطينية ..... د.نادية الزيتوني ٤١٢

المبحث السابع عشر

أسلمة المعرفة في مسرح باكثير ..... د.ضياء حمودة ٤٤٥

المبحث الثامن عشر

المرأة في أعمال علي أحمد باكثير ..... محمد جبريل ٤٩٠

المبحث التاسع عشر

ظاهرة السخرية في مسرح باكثير السياسي ..... د. سحر حسن أشقر ٥٠١

المبحث العشرون

مسرح علي أحمد باكثير الشعري بين

الشكل والمضمون ..... د. داود لطفي حافظ ٥٢٣

المبحث الحادي والعشرون

المعنى الوظيفي في السياق في مسرح باكثير ..... د.مبروك عبد الحليم ٥٤٤

المبحث الثاني والعشرون

إسهامات باكثير النقدية المبكرة وتطورها ..... أحمد هادي باحارثة ٥٨٥

تصدير

يعد علي أحمد باكثير واحدًا من أعظم الأدباء العرب والمسلمين في القرن العشرين، ولعله الوحيد بين أبناء جيله الذي تفرد بإنتاج غزير في الفنون الأدبية الأساسية، وهي: الشعر والرواية والمسرحية.

ورغم أن جُلَّ إنتاجه كان في المسرحية، إلا أن الريادة التي حققها في الشعر والرواية تجعل باكثير الشاعر، وباكثير الروائي، يزاحمان باكثير المسرحي، فإليه تنسب ريادة الشعر الحر في ترجمته مسرحية شكسبير الشهيرة "روميو وجولييت" سنة ١٩٣٦م، عندما كان طالبًا بقسم اللغة الإنجليزية بجامعة القاهرة، ثم تأليف مسرحية "إخناتون ونفرتيتي"، الأمر الذي جعل ناقدًا كبيرًا وهو عز الدين إسماعيل يقول: إن حركات التجديد في القصيدة العربية ــ بكل أبعادها الشكلية والمعنوية ــ تظل مدينة لتجربة باكثير "إذ لم تحدث في شكل القصيدة إلا ما أحدثه باكثير حين كسر وحدة البيت وطرفي القافية بصورتها القديمة، مع اتخاذ التفعيلة أساسًا للبناء الموسيقي"(١)

وفي ميدان الرواية نحسب باكثير رائد الفكر الإسلامي المستنير في الرواية العربية التاريخية، ولو لم يؤلف إلا "وا إسلاماه" و"الثائر الأحمر" و"سلامة القس" لكفته هذه الأعمال خلودًا في هذا الفن.

أما المسرح فهو صاحب الغزارة والتنوع، ففي المسرح الشعري هو أول من أطلق سراح المسرحية الشعرية العربية من أسر الموسيقى التي غلبت على أعمال شوقي وعزيز أباظة، إلى رحاب يعلو فيها صوت الدراما على صوت الغناء، باصطناعه شعر التفعيلة وسيلة للتعبير.

ومنذ أواخر أربعينيات القرن الماضي إلى أواخر الخمسينيات سجل باكثير على خشبة المسرح أروع تاريخ للعروض المسرحية الجماهيرية، تمثل كبار نجوم المسرح المصري، وقد ارتبط اسم باكثير بتاريخ العروض الناجحة التي

قدمها مخرجون كبار أمثال زكي طليمات وفتوح نشاطي، وممثلون كبار على خشبة مسرح دار الأوبرا.

وبموازاة هذا السجل الغني سارت اهتمامات باكثير بقضايا العروبة والإسلام، إذ لا نجد وطنًا من أوطان العرب المسلمين خاض الكفاح ضد المستعمر إلا وكان له ولقادة هذا الكفاح في أدب باكثير نصيب من مراكش في أقصى الغرب إلى جاكرتا في أقصى الشرق. ومن خضم هذا كله تحتل قضية فلسطين نصيب الأسد من أدب باكثير، وهو يُعدّ بحق رائد قضية فلسطين في المسرح العربي، وأول من حذر من قيام دولة إسرائيل بصرخته التي أطلقها في مسرحية شيلوك الجديد سنة ١٩٤٤م، وأعقبتها خمس مسرحيات طويلة، وعشرات المسرحيات القصيرة التي تابع فيها تفاصيل التآمر الدولي على فلسطين، الأمر الذي يعطيه ــ من الناحية الفنية ــ ريادة المسرح التسجيلي الذي ظهر في الغرب بعد كتابة باكثير مسرحياته بعشرين عامًا على الأقل.

وبعد.. فإن هذا التصدير ليس مكان الحديث عن إنجازات باكثير وعطائه الثري في خدمة الأدب العربي والثقافة الإسلامية، فإن هذه الأبحاث التي كتبها نخبة من أساتذة الأدب والنقد في العالم العربي والإسلامي هي التي تنصف باكثير وتنزله منزلته التي يستحقها.

وحسب الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، ورابطة الأدب الإسلامي العالمية، أن يلتقيا على قمة باكثير لقاء العروبة والإسلام، وهي الفكرة التي عاش باكثير مدافعًا عنها، مكافحًا في سبيلها، ومات من أجلها.. فمن حقه علينا أن نتذكره وفاء بعد مرور ٤٠ عامًا على وفاته، ونحتفل بفكره وفنه في الذكرى المئوية الأولى لميلاده.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر والتقدير للجنة التحضيرية التي حكّمت أبحاث هذا المؤتمر، ولرئيسها د.محمد أبو بكر حميد لما أعطاه من مراجعة لهذه الأبحاث من واقع تجربته الطويلة في خدمة تراث باكثير ودراسة حياته وأدبه.

كما يتقدم الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، ورابطة الأدب الإسلامي العالمية، بجزيل الشكر والامتنان إلى الهيئة العامة لقصور الثقافة ورئيسها الدكتور أحمد مجاهد، التى قامت بطباعة هذين المجلدين لأبحاث المؤتمر واللذين سيصبحان مرجعًا لكل دارس أو باحث لإبداعات على أحمد باكثير المسرحية منها أو الروائية أو الشعرية.

والله الموفق،،،

محمد سلماوي
الأمين العام
للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب

د.عبد القدوس أبو صالح
رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية

١ــ راجع كتابه: مسرح باكثير الشعري، دار الفكر العربي، ٢٠٠٥م، القاهرة، ص٣٠.

علي أحمد باكثير.. سجل بتواريخ أحداث حياته وأعماله

عضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

عضو لجنة الشعر، عضو لجنة القصة، عضو اتحاد الأدباء

إعداد: د. محمد أبو بكر حميد

تنشر لأول مرة من واقع اطلاعه على وثائق باكثير الشخصية

- ولد في ٢٢ ديسمبر ١٩١٠م في بمدينة سورابايا بإندونيسيا لأبوين عربيين من حضرموت باليمن.
- ٤ أبريل ١٩٢٠م عاد إلى وطنه الأصلي حضرموت بمعية والده.
- ١٩٢١م التحق بمدرسة النهضة العلمية بمدينة سيئون بحضرموت تخرج منها سنة ١٩٢٤م.
- المدة من ١٩٢٤-١٩٢٦م تلقى العلوم الشرعية والنحوية على يد عمه العلامة الشيخ محمد بن محمد باكثير.
- ١٤ نوفمبر ١٩٢٦م عين مديرًا لمدرسة النهضة العلمية بسيئون حضرموت.
- ١٧ فبراير ١٩٢٧م عاد إلى إندونيسيا لزيارة والدته وأمضى هناك أكثر من عام وعاد في ١٥/ ٤/ ١٩٢٨م. وأنجز في هذه السنة عدة أجزاء من مشروع كتابه (شعراء حضرموت) (ما يزال مخطوطًا).
- ٢٠ يونيو ١٩٢٨م تم له ما كان يريد من الزواج في حضرموت من فتاة شغفته حبا تدعى نور سعيد عوض باسلامة.
- ١٩ أكتوبر ١٩٢٩م أنجبت له زوجته طفلة سماها خديجة وفاء لزوجة والده التي رعته رعاية الأم لابنها منذ وصوله حضرموت.
- أسس (مجلة التهذيب) في حضرموت شهرية أدبية إسلامية، صدر العدد الأول منها في ٢٢ ديسمبر ١٩٣٠م وعددها الأخير في ٢٢ سبتمبر ١٩٣١م.

٢٠ مايو ١٩٣٢م بعد مرض عضال لمدة ستة شهور فجع بموت زوجته فقرر الهجرة من حضرموت وقد أورثه موتها حزناً مقيمًا وأصبحت ملهمته في كثير من أعماله الأدبية وموضوعاً للعديد من قصائده وظل وفيًا لحبها وذكراها إلى آخر عمره.

٢٥ يونيو ١٩٣٢م وصل إلى عدن عبر ميناء المكلا بحضرموت حيث أمضى بها حوالي عشرة شهور ثم غادرها إلى الحجاز.

٢٩ مارس ١٩٣٣م وصل ميناء جدة بالمملكة العربية السعودية ونشرت صحيفة "صوت الحجاز" خبر وصوله في الصفحة الأولى تحت عنوان: "وصول شاعر حضرموت الأكبر" في عدد يوم الإثنين ١٩ أبريل ١٩٣٣م.

١٣ فبراير ١٩٣٤م وصل إلى مصر ونزل في ميناء الإسكندرية ومنها غادر إلى القاهرة. حيث استقبله الإمام محمد رشيد رضا صاحب (المنار) الذي سهّل له الوصول إلى مصر.

سبتمبر ١٩٣٤م التحق بقسم اللغة الإنجليزية بجامعة فؤاد الأول بعد أن استكمل دراسة اللغة الإنجليزية التي بدأها في عدن.

١٩٣٦م بعد عامين من التحاقه بالجامعة ترجم مسرحية (روميو وجوليت) لشكسبير بالشعر المرسل المنطلق، وفي سنة ١٩٣٨م ألف مسرحية (إخناتون ونفرتيتي) فكانتا أول إرهاص بحركة الشعر الحر في الأدب العربي الحديث.

١٩٣٨م تخرج من قسم اللغة الإنجليزية كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً).

١٩٣٩م التحق بمعهد التربية العالي للمعلمين وحصل على دبلوم التربية العالي سنة ١٩٤٠م.

١٩٤٠م غادر إلى المنصورة حيث عمل بتدريس اللغة الإنجليزية والتاريخ والجغرافيا بمدرسة الرشاد الثانوية في المنصورة إلى سنة ١٩٤٧م وفي السنة نفسها نال جائزة المباراة الأدبية للفرقة القومية للتمثيل عن مسرحية (إخناتون ونفرتيتي).

- ٢٤ يونيو ١٩٤٣م تزوج في المنصورة من سيدة مصرية ولم ينجب منها، وفي السنة نفسها حصل على جائزة قوت القلوب الدمرداشية مناصفة مع نجيب محفوظ عن رواية (رادوبيس).
- ١٩٤٤م كتب روايته الشهيرة (والإسلاماه) وحصل على جائزة وزارة المعارف مناصفة مع نجيب محفوظ عن رواية (كفاح طيبة) كما حصل على جائزة وزارة الشئون الاجتماعية عن مسرحية (السلسلة والغفران)، وفي السنة نفسها قررت رواية (والإسلاماه) على طلاب المدارس المصرية في فبراير.
- ١٩٤٥م صدرت بالعربية مسرحيته السياسية الشهيرة (شيلوك الجديد) التي تنبأ فيها بقيام دولة إسرائيل في فلسطين، وتحت تأثير الصهيونية العالمية امتنعت دور النشر في لندن عن نشر النص الإنجليزي الذي كتبه بنفسه.
- ١٩٤٦م كتب (نشيد الأم) الذي اعتمدته وزارة التربية والتعليم، إدارة الشئون العامة في طابور الصباح بالمدارس الابتدائية المصرية.وقام بتلحينه عبد الحليم علي مفتش أول موسيقى بالوزارة.
- ١٩٤٧م نال جائزة وزارة الشئون الاجتماعية عن مسرحية (سر الحاكم بأمر الله). وفي أغسطس عاد من المنصورة إلى القاهرة بعد أن وجد فرصة عمل بالتدريس في مدرسة الدواوين الثانوية وأقام بمنيل الروضة على النيل شارع عبدالعزيز آل سعود حتى وفاته.
- ١٩٤٨م عرضت (الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى) مسرحية (سر الحاكم بأمر الله) على مسرح (دار الأوبرا).
- ١٩٥٠م نال جائزة وزارة الشئون الاجتماعية عن مسرحية (أبو دلامة مضحك الخليفة).
- ٢٢ أغسطس ١٩٥١م منحه فؤاد سراج الدين وزير الداخلية الجنسية المصرية بناء على توجيهات مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء تقديراً لدوره الوطني ضد الاستعمار البريطاني في مسرحية (إمبراطورية في المزاد) ومسرحياته الأخرى، وفي أول نوفمبر قدمت (الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى)

- ٢٠ مايو ١٩٣٢م بعد مرض عضال لمدة ستة شهور فجع بموت زوجته فقرر الهجرة من حضرموت وقد أورثه موتها حزناً مقيمًا وأصبحت ملهمته في كثير من أعماله الأدبية وموضوعاً للعديد من قصائده وظل وفيًا لحبها وذكراها إلى آخر عمره.
- ٢٥ يونيو ١٩٣٢م وصل إلى عدن عبر ميناء المكلا بحضرموت حيث أمضى بها حوالي عشرة شهور ثم غادرها إلى الحجاز.
- ٢٩ مارس ١٩٣٣م وصل ميناء جدة بالمملكة العربية السعودية ونشرت صحيفة "صوت الحجاز" خبر وصوله في الصفحة الأولى تحت عنوان: "وصول شاعر حضرموت الأكبر" في عدد يوم الإثنين ١٩ أبريل ١٩٣٣م.
- ١٣ فبراير ١٩٣٤م وصل إلى مصر ونزل في ميناء الإسكندرية ومنها غادر إلى القاهرة. حيث استقبله الإمام محمد رشيد رضا صاحب (المنار) الذي سهّل له الوصول إلى مصر.
- سبتمبر ١٩٣٤م التحق بقسم اللغة الإنجليزية بجامعة فؤاد الأول بعد أن استكمل دراسة اللغة الإنجليزية التي بدأها في عدن.
- ١٩٣٦م بعد عامين من التحاقه بالجامعة ترجم مسرحية (روميو وجوليت) لشكسبير بالشعر المرسل المنطلق، وفي سنة ١٩٣٨م ألف مسرحية (إخناتون ونفرتيتي) فكانتا أول إرهاص بحركة الشعر الحر في الأدب العربي الحديث.
- ١٩٣٨م تخرج من قسم اللغة الإنجليزية كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً).
- ١٩٣٩م التحق بمعهد التربية العالي للمعلمين وحصل على دبلوم التربية العالي سنة ١٩٤٠م.
- ١٩٤٠م غادر إلى المنصورة حيث عمل بتدريس اللغة الإنجليزية والتاريخ والجغرافيا بمدرسة الرشاد الثانوية في المنصورة إلى سنة ١٩٤٧م وفي السنة نفسها نال جائزة المباراة الأدبية للفرقة القومية للتمثيل عن مسرحية (إخناتون ونفرتيتي).

- ٢٤ يونيو ١٩٤٣م تزوج في المنصورة من سيدة مصرية ولم ينجب منها، وفي السنة نفسها حصل على جائزة قوت القلوب الدمرداشية مناصفة مع نجيب محفوظ عن رواية (رادوبيس).
- ١٩٤٤م كتب روايته الشهيرة (والإسلاماه) وحصل على جائزة وزارة المعارف مناصفة مع نجيب محفوظ عن رواية (كفاح طيبة) كما حصل على جائزة وزارة الشئون الاجتماعية عن مسرحية (السلسلة والغفران)، وفي السنة نفسها قررت رواية (والإسلاماه) على طلاب المدارس المصرية في فبراير.
- ١٩٤٥م صدرت بالعربية مسرحيته السياسية الشهيرة (شيلوك الجديد) التي تنبأ فيها بقيام دولة إسرائيل في فلسطين، وتحت تأثير الصهيونية العالمية امتنعت دور النشر في لندن عن نشر النص الإنجليزي الذي كتبه بنفسه.
- ١٩٤٦م كتب (نشيد الأم) الذي اعتمدته وزارة التربية والتعليم، إدارة الشئون العامة في طابور الصباح بالمدارس الابتدائية المصرية.وقام بتلحينه عبد الحليم علي مفتش أول موسيقى بالوزارة.
- ١٩٤٧م نال جائزة وزارة الشئون الاجتماعية عن مسرحية (سر الحاكم بأمر الله). وفي أغسطس عاد من المنصورة إلى القاهرة بعد أن وجد فرصة عمل بالتدريس في مدرسة الدواوين الثانوية وأقام بمنيل الروضة على النيل شارع عبدالعزيز آل سعود حتى وفاته.
- ١٩٤٨م عرضت (الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى) مسرحية (سر الحاكم بأمر الله) على مسرح (دار الأوبرا).
- ١٩٥٠م نال جائزة وزارة الشئون الاجتماعية عن مسرحية (أبو دلامة مضحك الخليفة).
- ٢٢ أغسطس ١٩٥١م منحه فؤاد سراج الدين وزير الداخلية الجنسية المصرية بناء على توجيهات مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء تقديراً لدوره الوطني ضد الاستعمار البريطاني في مسرحية (إمبراطورية في المزاد) ومسرحياته الأخرى، وفي أول نوفمبر قدمت (الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى)

مسرحيته الوطنية الساخرة (مسمار جحا) على مسرح (الأوبرا الملكية).

- ١٩٥٣م افتتحت (فرقة المسرح المصري الحديث) موسمها المسرحي لسنة ١٩٥٣-١٩٥٤م بمسرحية (سر الحاكم بأمر الله). وفي ١٥ نوفمبر افتتحت (الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى) موسمها المسرحي ١٩٥٣-١٩٥٤م على (مسرح الأوبرا) بمسرحية (سر شهرزاد).
- أكتوبر ١٩٥٤م افتتح (المسرح القومي) موسمه المسرحي بمسرحية (سر الحاكم بأمر الله) وفي يوليو سافر إلى فرنسا في بعثة دراسية حكومية لمدة أربعة شهور مع عدد من الأدباء منهم: محمد عبدالحليم عبدالله وصالح جودت.
- من ١٣ إلى ١٥ نوفمبر ١٩٥٤م قدم (المسرح القومي) مسرحية (أبو دلامة مضحك الخليفة).
- ١٩٥٥م افتتح (المسرح القومي) موسمه المسرحي ١٩٥٥-١٩٥٦م بإعادة عرض مسرحية (مسمار جحا) للمرة الرابعة، وفي السنة نفسها أصدر وزير التربية والتعليم كمال الدين حسين توجيهاته بتقرير روايته (سيرة شجاع) على طلاب المدارس المصرية. كما أصدر وزير الإرشاد القومي فتحي رضوان قراراً بتعيينه مستشارا للأستاذ يحيى حقي مدير عام (مصلحة الفنون) عند إنشائها.
- في بداية سنة ١٩٥٨م عين مسئولا عن المسرح بمصلحة الفنون وأشرف على إنشاء (المسرح الشعبي). وفي أكتوبر اختير للسفر إلى الاتحاد السوفيتي لتمثيل مصر في (مؤتمر أدباء آسيا وأفريقيا) في طشقند وبعده زار النمسا وألمانيا ورمانيا بصفته الشخصية.
- ١٩٥٦م رأس وفد الأدباء المصريين إلى الاتحاد السوفيتي ورومانيا وكان من أهم أعضائه د.محمد مندور، د.شوقي ضيف، محمد سعيد العريان، عبدالرحمن الشرقاوي.
- ٩ أبريل ١٩٦٤م عين مديراً للمكتب الفني بالإدارة العامة للرقابة على المصنفات الفنية.
- ١٩٦٠م نال (جائزة المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية)

عن مسرحية (دار ابن لقمان).

- ١٩٦١م إنتاج رواية (وإسلاماه) للسينما باللغتين العربية والإنجليزية إخراج الإيطالي ماريتون، إنتاج رمسيس نجيب.
- ١٩٦٢م نال (جائزة الدولة التشجيعية) عن مسرحية (هاروت وماروت) مع و(سام العلوم والفنون) من الدرجة الأولى. وقدمت له (فرقة المسرح الحديث) على (مسرح الهوسابير) مسرحية (قطط وفيران) في موسم ٦٢-١٩٦٣م.
- ١٩٦٣م منحه الرئيس جمال عبدالناصر و(سام عيدالعلم) وحصل في السنة نفسها على و(سام الشعر). وقدم له (مسرح التليفزيون) الذي أنشأه د.عبدالقادر حاتم وزير الإعلام مسرحية (جلفدان هانم) ومثلتها (فرقة المسرح الكوميدي) في موسمين مسرحيين بمجموع ٧٠ حفلة بنجاح منقطع النظير.
- ١٩٦٤م حصل على أول منحة تفرغ لأديب مصري لمدة عامين كتب خلالها ملحمته المسرحية الإسلامية الكبرى (عمر بن الخطاب) في ١٩ جزءاً. وأعيد عرض مسرحية (قطط وفيران) على(مسرح التليفزيون) في موسم ١٩٦٤-١٩٦٥م في أكثر من ثلاثين حفلة.
- ٦ أبريل ١٩٦٨م وصل عدن في زيارة لوطنه الأصلي (اليمن الجنوبي) بعد استقلاله في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م وفي ١٠ أبريل غادرها إلى حضرموت بعد غياب دام ٣٥ عاماً، وفي ١٧أبريل غادر من عدن إلى الكويت لعدة أيام ثم عاد إلى القاهرة.
- في أبريل ١٩٦٩م شارك في (مؤتمر الأدباء العرب) المنعقد في بغداد، وزار بعده الكويت. وفي مايو زار تركيا وفي يونيو زار بريطانيا.
- في ١٠ نوفمبر ١٩٦٩م توفي فجأة بمنزله في القاهرة إثر نوبة قلبية حادة قبل أن يتم الستين من عمره.

الأعمال المسرحية

- همام أو في بلاد الأحقاف (شعرية) ١٩٣٣م
- روميو وجولييت (ترجمة بالشعر المرسل) ١٩٣٦م
- اخناتون ونفرتيتي (شعرية) ١٩٤٠م
- إبراهيم باشا ١٩٤١م
- قصر الهودج (شعرية) ١٩٤٣م
- الفرعون الموعود ١٩٤٤م
- السلسلة والغفران ١٩٤٤م
- شيلوك الجديد ١٩٤٤م
- عودة الفردوس ١٩٤٦م
- سر الحاكم بأمر الله ١٩٤٧م
- مأساة أوديب ١٩٤٩م
- أبو دلامة مضحك الخليفة ١٩٥٠م
- سر شهرزاد ١٩٥١م
- مسمار جحا ١٩٥١م
- إمبراطورية في المزاد ١٩٥١م
- أوزوريس ١٩٥٣م
- أغلى من الحب ١٩٥٤م

(نشرت مسلسلة في صحيفة الجمهورية وطبعت في كتاب مؤخرا عن مكتبة مصر)

- هكذا لقي الله عمر ١٩٥٦م
- مسرح السياسة ١٩٥٧م
- شعب الله المختار ١٩٥٨م
- شلبية (مخطوطة) ١٩٥٩م

- الزعيم الأوحد ١٩٥٩م
- دار ابن لقمان ١٩٦٠م
- هاروت وماروت ١٩٦١م
- الدنيا فوضى ١٩٦١م
- قضية أهل الربع(طبعت بعد وفاته) ١٩٦٢م
- قطط وفيران ١٩٦٢م
- جلفدان هانم ١٩٦٢م
- عرايس وعرسان(مخطوطة) ١٩٦٤م
- الدودة والثعبان ١٩٦٤م
- حبل الغسيل ١٩٦٥م
- لباس العفة(مخطوطة) ١٩٦٥م
- أحلام نابليون ١٩٦٦م
- مأساة زينب ١٩٦٦م
- فاوست الجديد ١٩٦٦م
- حرب البسوس(طبعت بعد وفاته) ١٩٦٧م
- من فوق سبع سماوات ١٩٦٧م
- التوراة الضائعة ١٩٦٩م
- عاشق من حضرموت(شعرية) ١٩٦٩م
- الوطن الأكبر (شعرية، طبعت بعد وفاته) ١٩٦٩م
- الشيماء شادية الإسلام ١٩٦٩م
- ملحمة عمر الإسلامية الكبرى ١٩٦٣-١٩٦٦م :
- على أسوار القدس
- معركة الجسر
- كسرى وقيصر
- أبطال اليرموك
- تراب من أرض فارس

- رستم
- أبطال القادسية
- مقاليد بيت المقدس
- صلاة في الإيوان
- مكيدة من مرقل
- عمر وخالد
- سر المقوقس
- عام الرمادة
- حديث الهرمزان
- شطا وأرمانوسة
- الولاة والرعية
- فتح الفتوح
- القوي الأمين
- غروب الشمس
- المسرحيات الإسلامية القصيرة (٦٢ مسرحية تحت الطبع)
- المسرحيات السياسية التسجيلية القصيرة (١٢٠ مسرحية تحت الطبع)

الأعمال الروائية

- سلامة القس ١٩٤٣م
- والإسلام ١٩٤٤م
- ليلة النصر ١٩٤٦م
- الثائر الأحمر ١٩٤٩م
- سيرة شجاع ١٩٥٥م
- الفارس الجميل ١٩٦٥م

الدواوين الشعرية

(لم يجمع باكثير شعره ولم ينشر ديوانا في حياته)

- ديوان (أزهار الربا في شعر الصبا) ١٩٢٣-١٩٣٢م
  جمع وتحقيق د.محمد أبوبكر حميد ١٩٨٧م
- ديوان (سحر عدن وفخر اليمن) ١٩٣٢م
  جمع وتحقيق د.محمد أبوبكر حميد ٢٠٠٨م
- ديوان (صبا نجد وأنفاس الحجاز) ١٩٣٣م
  جمع وتحقيق د.محمد أبو بكر حميد (تحت الطبع)
- ديوان (وحي ضفاف النيل) ١٩٣٤-١٩٦٩م
  جمع وتحقيق د.محمد أبوبكر حميد (تحت الطبع)

الأعمال الأخرى

- فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية ١٩٦٠م
- مذكرات علي أحمد باكثير في حضرموت وعدن والحجاز ١٩٢٥-١٩٣٣م
  جمع وإعداد وتوثيق : د.محمد أبوبكر حميد (تحت الطبع)
- يوميات باكثير في روسيا والجمهوريات الإسلامية وأوروبا ١٩٥٨م
  إعداد وتوثيق: د.محمد أبوبكر حميد ٢٠١٠م
- مقالات باكثير النقدية والفكرية
  جمع وتوثيق: د.محمد أبو بكر حميد (تحت الطبع)

علي أحمد باكثير

علي أحمد باكثير مراحل مجهولة من حياته.. وريادات فنه وفكره

د. محمد أبو بكر حميد

استطاع علي أحمد باكثير (١٩١٠-١٩٦٩م)، خلال سنوات قليلة أن يصبح واحدًا من أبرز كُتَّاب مصر ، ومن أهم الأدباء العرب والمسلمين وأنضجهم في القرن العشرين، فقد تألق نجمه سريعًا بعد هجرته إلى مصر سنة ١٩٣٤م ، وذلك لغزارة إنتاجه وتنوعه ولرياداته الفنية، إذ سجل مجموعة من الريادات في الشعر والرواية والمسرح منها ريادته التاريخية في الشعر التفعيلي، وريادته للطرح الإسلامي في الرواية العربية التاريخية، وسطع نجمه في سماء الحياة الفنية في مصر من خلال العروض الناجحة جماهيريًا لمسرحياته والإنتاج السينمائي لبعض أعماله. وكان وراء ذلك جرأته في طرح قضايا أمته العربية والإسلامية في مرحلة من أخطر مراحل تاريخها الحديث، وهي مرحلة الكفاح ضد الاستعمار وتحقيق الاستقلال التي جعلت منه رائدًا للدراما التسجيلية والكوميديا السياسية الساخرة في مرحلة مبكرة من تاريخ مسرحنا العربي. ولو لم يكتب باكثير في المسرح إلا « شيلوك الجديد» و«التوراة الضائعة» و«إمبراطورية في المزاد» و«وملحمة عمر الكبرى» وفي الرواية «واإسلاماه» و«الثائر الأحمر» و«سيرة شجاع» لكفته خلودًا، ولكنه ترك لنا تراثا أدبيا ضخمًا تتصدره أكثر من سبعين مسرحية في مختلف القضايا والاهتمامات.

حائز الجوائز وإعجاب قادة ثورة ٢٣ يوليو

لمع اسم باكثير الروائي في مصر في بداية الأربعينيات من القرن العشرين، فقد كان هو وزميله **نجيب محفوظ** في طليعة المنضمين للجنة النشر للجامعيين[1] التي أسسها **عبدالحميد جودة السحار** سنة ١٩٤٣م لنشر أعمال الأدباء الشباب [2]، وقد تعاهد الزملاء الثلاثة السحار وباكثير ونجيب محفوظ ـ الذين تخرجوا حديثًا آنذاك من الجامعة ـ على نشر أعمال أدبية ترتقي بمستوى الرواية العربية فنيًا وفكريًا، فاتجه الأدباء الشبان الثلاثة إلى كتابة الرواية التاريخية برؤية جديدة تجعل من أعمالهم الامتداد المتطور لما كتبه أبناء الجيل السابق لهم .

كانت الرؤية الجديدة التي قرروا الانطلاق منها هي الاهتمام بتوظيف موضوعات التاريخ لخدمة الواقع المعاصر الذي تعيشه مصر والأمة العربية، وتصوير الشخصيات التاريخية من خلال رؤية إنسانية واسعة تخرجهم من إطار الواقع التاريخي الضيق إلى آفاق عالمية، ذلك لأنهم رأوا أن بعض أعمال الجيل السابق لهم لم تكن أكثر من إعادة صياغة التاريخ بشكل فني دون محاولة تقديم تفسير جديد لأحداثه، أو طرح رؤية خاصة تعبر عن رأي المؤلف في أحداث معاصرة.

ونتيجة لهذا الطرح الجديد حققت الروايات الثلاث الأولى: «**أحمس بطل الاستقلال**» للسحار، و«**رادوبيس**» لنجيب محفوظ، و «**وسلامة القس**» لباكثير التي أصدرتها لجنة النشر للجامعيين ترحيبًا نقديًا وثقافيًا ممتازًا. فقد فازت روايتا باكثير **ونجيب محفوظ بجائزة السيدة قوت القلوب الدمرداشية**، فاقتسما

(١) أبلغني بذلك الأستاذ سعيد جودة السحار في حديث شخصي معه بمكتبة دار مصر للطباعة بالقاهرة في ١٩٩١/٨/٢٥م.

(٢) ثم انضم إليهم بعد ذلك ـــ على هذا الأساس ـــ كوكبة من الأدباء الشباب مثلهم وهم محمد عبدالحليم عبدالله وأمين يوسف غراب، وسيد قطب، وعادل كامل، وحسين مظلوم رياض، ومحمد سيد كيلاني، ومحمود محمود وغيرهم.

قيمة الجائزة وحصل كل واحد منهما على أربعين جنيهًا، وكانت تلك أول جائزة يحصل عليها باكثير ونجيب محفوظ في تاريخهما الأدبي، كما حصلا بعد ذلك على **جائزة وزارة المعارف** بالاشتراك سنة ١٩٤٥م باكثير عن رواية «**وا إسلاماه**» ونجيب محفوظ عن رواية «**كفاح طيبة**».

على أن الفارق بين باكثير والسحّار وزميلهما نجيب محفوظ، كان ذلك التفاؤل الذي تميزا به عن أبناء جيلهما المنطلق من إيمان عميق بمستقبل أفضل من خلال التصور الإسلامي الذي انعكس على كل أعمالهما. وقد أشار نجيب محفوظ إلى ذلك قائلاً :«عندما أعود بذاكرتي إلى هذه السنوات (الأربعينيات) أجد أن علي أحمد باكثير، وعبدالحميد السحار لم يداخلهما شك في قيمة إنتاجهما، ووجوب الاستمرار فيه، فقد كانا ممتلئين بالتفاؤل، أما (الآخرون) وأنا فكنا نعاني من أزمة نفسية غريبة جدًا، طابعها التشاؤم الشديد»(١)!!

لهذا ظلّ باكثير متفائلاً في كل أعماله التي كتبها في تلك الحقبة رغم الظروف القاتمة التي مرت بها مصر والوطن العربي والإسلامي ابتداء من نشوب الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م، وهي الظروف التي بلغت ذروتها بقيام دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨م، وما تخلل هذه السنة من أحداث شهدتها الساحة السياسية في مصر كان في مقدمتها قرار رئيس الوزراء المصري محمود فهمي النقراشي بحل جماعة الإخوان المسلمين في ١٩٤٨/١٢/٢م، وما ترتب عليه من صدام دموي بين الجماعة وحكومة الملك فاروق أدى إلى اغتيال الجماعة للنقراشي في ١٩٤٨/١٢/٢٨م، وانتهى باغتيال الإمام حسن البنا في ١٩٤٩/٢/١٣م، فضلاً عن تفاقم أزمات النظام السياسي في مصر وتسلط الإقطاع على رقاب الفلاحين، الأمر الذي أدى إلى إيجاد بيئة خصبة لظهور

(١) حوار مع نجيب محفوظ في كتاب (عشرة أدباء يتحدثون) للأستاذ فؤاد دوارة، سلسلة كتاب الهلال، عدد (١٧٢)، يوليو ١٩٦٥م القاهرة ص٢٨٩.

المنظمات السرية ومنها الشيوعية للترويج لمبادئها، حتى انتهت الأمور في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م بنجاح حركة الضباط الأحرار في قلب نظام الحكم. لو لم يكتب باكثير إلا هاتين الروايتين لكفتاه خلودًا في سجل الرواية العربية التاريخية فنيا وفكريا.

من هنا كان تركيز باكثير على التاريخ العربي الإسلامي المرتبط بمصر، ويعود ذلك إلى إيمانه العميق بأهمية قيادة مصر لأمتها العربية، وهو رأي رسخ في يقينه قبل وصوله إلى مصر، وعبّر عنه في نتاج مراحل حياته السابقة. فمصر هي أرض الكنانة وموئل العروبة وانطلاقة الإسلام ومركز القيادة في معارك التحرير والانتصارات الكبرى فلا عجب أن يقول:

صلوات الله يا مصر عليك وتحيات ملايين القلوب

كلها ينبض تحناتا إليك ويفديك على رغم الخطوب

يا رجاء العرب من قاص ودان

ولهذا كتب **(وا إسلاماه)** مذكرًا بنصرة الإسلام وتحرير الأرض بقيادة مصر. فازت هذه الرواية بـ **«جائزة وزارة المعارف»**، ثم قررتها على طلاب المدارس الثانوية، فكانت أول رواية لأديب غير مصري تقرر على طلاب المدارس في مصر[1]، وقد عرف الجيل الذي تخرج من المدارس الثانوية في الحقبة من ١٩٤٥م حتى قيام الثورة المصرية سنة ١٩٥٢م مؤلف **(وا إسلاماه)** من خلال هذه الرواية، فضلاً عن التلاميذ الذين درسوا على يديه في هذه المدارس[2].

---

(١) حصل على الجنسية المصرية سنة ١٩٥١م قبل الثورة بسنة، وبعد سبعة عشر عامًا من إقامته بمصر.

(٢) تخرج في كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية بجامعة فؤاد الأول سنة ١٩٣٩م، وحصل على دبلوم معهد التربية سنة ١٩٤٠م وعمل مدرسًا بمدرسة الرشاد الثانوية بالمنصورة لمدة سبع سنوات، وفي سنة ١٩٤٧م انتقل للقاهرة وعمل مدرسًا بمدرسة الدواوين الثانوية لمدة سبع سنوات أخرى، وفي سنة ١٩٥٥م عيّن مستشارًا لمدير عام مصلحة الفنون يحيى حقي بوزارة الإرشاد القومي. وفي ١٩٦٤/٢/٢٩م عيّن مديرا للرقابة على المصنفات الفنية بوزارة الثقافة إلى وفاته.

أنقذت رواية **(وا إسلاماه)** مؤلفها من السجن، فعندما وقعت الفتنة بين رجال الثورة وجماعة الإخوان المسلمين بصدور قرار حل الجماعة في ١٩٥٤/١/١٥م، كان اسم علي أحمد باكثير من الأسماء الكبيرة التي لا يمكن اعتقالها إلا بإذن من جمال عبدالناصر، وكان طلب اعتقاله بحجة أنه كان ينشر بعض مسرحياته في صحيفة (الإخوان المسلمون)، وتربطه علاقات ودية ببعض الإخوان. لكن جمال عبدالناصر رفض اعتقاله معترضًا بقوله: **«لماذا باكثير؟ كلنا كنا أصدقاء لقادة الإخوان المسلمين ونؤيد دعوتهم، ثم إن باكثير مواطن عربي هاجر من وطنه حبًا في مصر، وحسبه أنه مؤلف (وإسلاماه) التي قرأتها قبل الثورة فأعجبت بتصويره لمدى حاجة مصر لزعيم وطني يحرر أوطان العرب ويوحد كلمة المسلمين»**[1] أيّد الرئيس محمد نجيب جمال عبدالناصر في هذا الرأي رغم الخلاف الذي كان بينهما. وقد نقل أنور السادات لباكثير هذا الكلام، إذ كانت تربطهما علاقة ود منذ كانا يلتقيان في دار الهلال قبل الثورة وتوطدت هذه العلاقة بعد أن أصبح السادات رئيسا لتحرير صحيفة الجمهورية بعد الثورة التي شهدت اهتماما بنشر نتاج باكثير في هذه الحقبة.

وبعد ذلك بتسع سنوات، قال الرئيس جمال عبدالناصر لباكثير سنة ١٩٦٣م وهو يمنحه **«وسام العلوم والفنون»** من الطبقة الأولى: **«كانت (وإسلاماه) أكثر عمل أدبي تأثرت به قبل الثورة، بعد (عودة الروح) لتوفيق الحكيم»**[2]، ويقول أمين هويدي وزير المخابرات المصري الأسبق(الذي كان وزيرا للإرشاد القومي من ١٩٦٥/١٠/١ - ١٩٦٧/٦/١٩م): إن هذه العبارة أنقذت باكثير من السجن مرة أخرى، فبعد إعدام سيد قطب في ١٩٦٦/٨/٢٩م،

---

(١) أبلغني بهذا الأستاذ عمر عثمان العمودي تلميذ باكثير وزوج ربيبته في حديث معه بمنزله في القاهرة بتاريخ ١٩٩٢/٨/١٨م.

(٢) كلام جمال عبدالناصر رواه لي د.عبده بدوي صديق باكثير الحميم القاهرة بتاريخ ١٩٩٢/٨/٢٥م نقلاً عن فتحي رضوان.

رشحته المخابرات للاعتقال بسبب صلته بسيد قطب لكن الرئيس جمال عبدالناصر رفض ذلك، بحجة أن باكثير لم يكن عضوًا في جماعة الإخوان المسلمين ولم يكن مرتبطًا بأي تنظيم سياسي، وكانت صلته بسيد قطب صلة أدبية بدأت قبل أن يتجه الأخير للعمل السياسي.[1]

وفي سنة ١٩٦٣م أيضًا كرمه جمال عبدالناصر بـ «**وسام عيد العلم**»، وفي السنة نفسها أيضًا تم إنتاج (**وا إسلاماه**) إلى فيلم سينمائي عالمي باللغتين العربية والإنجليزية، وذاع صيت هذا الفيلم ولا يزال يُعرض اليوم في المناسبات الدينية وفي أوقات الأزمات. وعدّ باكثير هذه المواقف التي يتخذها معه جمال عبدالناصر أرقى درجات المروءة والنبل، فقد كان عبدالناصر سنة ١٩٤٥م، يتردد على دار الإخوان المسلمين، وهو في سن الرابعة والعشرين، وقد عرفه باكثير هناك والتقى به أكثر من مرة.[2]

وفي سنة ١٩٥٤م وبعد الثورة المصرية عادت فكرة قيادة مصر لأمتها العربية والإسلامية تلح عليه مرة أخرى، فكتب رواية (**سيرة شجاع**) ونشرت سنة ١٩٥٥م وتتعرض لقضية قيادة مصر لأمتها العربية وكتب (**سيرة شجاع**) محذرًا قادة مصر من الخلاف داعيًا إلى الوحدة وجمع شمل العرب والمسلمين، وهي فكرة ترددت كثيرًا في شعره ومسرحياته فضلاً عن رواياته. ويعلل ذلك بقوله: «إن القاهرة كانت مركز القيادة والزعامة للعالم العربي في عهود كثيرة مثل عهد أحمد بن طولون الذي امتد سلطانه إلى شمال أفريقيا وبرقة وطرابلس، ووصلت فتوحاته إلى محاربة الروم. وكانت الزعامة الفعلية وقتئذٍ في القاهرة رغم أن الخلافة كانت في بغداد. وفي عهد الفاطميين بسطت مصر

(١) قال أمين هويدي ذلك في تعليق له على محاضرة لي حضرها هو ومحمد عودة ألقيتها عن باكثير في ذكراه بفناء بيته بمدينة سيئون حضرموت ليلة ١٠/١١/١٩٨٨م، وكان ذلك ضمن برنامج زيارة الوفد المصري الذي رأسه هويدي لليمن الجنوبي (سابقًا).

(٢) نقلا عن د.عبده بدوي الذي سمع هذا الحديث من باكثير نفسه. وروى ذلك لي في الكويت في ٢٥/٤/١٩٨٨م.

زعامتها على دول كثيرة منها المغرب واليمن، ولم يكن يمنعها من زعامة جميع الدول العربية إلا المذهب الفاطمي الشيعي الذي حورب أشد المحاربة حتى في مصر نفسها، إلى أن استقلت مذهبيًا وأصبحت سنية بعد الدولة الفاطمية»[1].

ولا شك أن اختيار باكثير لموضوع هذه الحقبة من تاريخ مصر ليس ببعيد عمّا شهدته مصر والعالم العربي من أحداث سياسية كان في مقدمتها الصراع على السلطة في مجلس قيادة الثورة المصرية الذي حُسم بانتصار جمال عبدالناصر وإقصاء محمد نجيب. عن الرئاسة في ١٤/١٢/١٩٥٤م. وقد حملت هذه الرواية بين طيات صراعها أحداثًا تاريخية فيها إسقاطات على الحاضر قابلة لشتى التفاسير، انطوت من مغبة الخلاف وتأثيره على زعامة مصر للأمة العربية.

وبما أن العمل الفني لا يمكن أن ينفصل تمامًا عن عواطف ومبادئ ومواقف صاحبه ــ مهما ادّعى من الموضوعية ــ فإن القارئ والدارس لا بد أن يجد ما يفيده في فهم إسقاطات النص والنسيج الروائي لأحداثه من خلال علاقة باكثير بالأطراف المعنية من رجال ثورة ٢٣ يوليو، والظروف الشخصية التي دعته لكتابة هذه الرواية. فإن أحد مفاتيح هذا الفهم الإهداء الذي كتبه في بداية الرواية «**إلى جمال عبدالناصر ورفاقه الأبطال**»، والدلالة التي تحملها دعوته في نهاية الإهداء أن تكون أحداث هذه الرواية «**عبرة لمن اعتبر، وذكرى لمن ادكر**». ولا شك أن باكثير كان ممتنًا لمروءة جمال عبد الناصر بإنقاذه له من اعتقالات سنة ١٩٥٤م، برأيه الذي عبر فيه عن إعجابه برواية (**وا إسلاماه**).

وقد سرى هذا الإعجاب إلى بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة، فقد كان كمال الدين حسين من المعجبين بأدب باكثير، وبرواية (**وا إسلاماه**) على وجه الخصوص، وبعد أن أصبح وزيرًا للتربية والتعليم (١٩٥٤-١٩٥٥) بعث

(١) المرجع السابق ص ٤٦.

لباكثير سنة ١٩٥٥م برسالة إعجاب وتقدير يطلب منه أن يؤلف رواية أخرى[١] تقرر أيضًا على طلاب المدارس، فكانت رواية **(سيرة شجاع)**. وقد ذكر باكثير في مسودة خطاب وجدتها بقلمه كتبه أوائل سنة ١٩٥٥م، يقول فيه: **«لما انتهيت من تأليف قصتي سيرة شجاع رأيت أن أتقدم بنسخة منها إلى السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم إذ ذاك لما كان يسبغه من عطف علي من اهتمام بنتاجي القصصي منذ ألفت (وا إسلاماه)، فكان يشجعني أن أكتب قصة قومية مثلها، فلما ألفتها رأيت أن أقدمها إليه تحية له، ورأت الوزارة بعد دراسة الكتاب أنه يصلح للقراءة الصيفية للطلبة فقررته»**[٢].

ومع ذلك فقد ربطت باكثير باللواء محمد نجيب معرفة شخصية منذ سنة ١٩٤٣م من خلال زوجته المصرية التي تمت بصلة قرابة لأسرة محمد نجيب، وتوثقت هذه الصلة بعد الصدى الوطني الكبير الذي أحدثه تمثيل مسرحيته **(مسمار جحا)** سنة ١٩٥١م، التي كانت صرخة جريئة في وجه الاستعمار الإنجليزي لمصر، وقد أشار زكي طليمات مخرج المسرحية إلى خطورة هذا العمل الوطني في ظل الوجود الإنجليزي بمصر في مقدمة طبعتها الأولى وقال: إنه كان مشفقًا أن يقاد باكثير إلى السجن بسببها[٣]. وبعد نجاح الثورة استقبل الرئيس محمد نجيب باكثير وحيّاه على وطنيته، وقال له عبارة ظلت ترن في أذنه طويلاً: **«لقد قدمت رأسك قبلنا يا أستاذ باكثير بأعمالك الوطنية قبل الثورة»**[٤] وقد ظل باكثير يذكر هذه العبارة باعتزاز لأصدقائه ويشعر بامتنان كبير لمشاطرة محمد نجيب عبدالناصر رأيه في استبعاده من الاعتقال أثناء

(١) حصلت على الخطاب ضمن أوراق باكثير التي احتفظت بها أسرته في القاهرة.
(٢) مسودة خطاب موجه إلى مسئول لم يذكر اسمه.
(٣) راجع تقديم زكي طليمات للطبعة الأولى من مسرحية (مسمار جحا)، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥١م، ص ٦.
(٤) روت ذلك لي ربيبة باكثير السيدة إجلال محمد لطفي ابنة زوجته المصرية في منزلها في القاهرة بتاريخ ١٩٩٢/٨/١٢م.

أحداث الإخوان سنة ١٩٥٤م. وقد وجدت بين برقيات التعازي التي وصلت أسرة باكثير بعد وفاته برقيتين من اللواء محمد نجيب من سجنه بالمرج بتاريخ ١٩٦٩/١١/١١م، يدل محتواهما على متابعته إنتاج باكثير يقول في إحداهما: **«السادة آل باكثير أشاطركم قلبيًا، فقد خسرنا والعروبة والإسلام عالمًا جليلاً وبطلاً عظيمًا، فالرحمة للفقيد والصبر الجميل للجميع»**.

دخل باكثير مصر شاعرًا يحلم بإمارة الشعر بعد شوقي، إلا أنه حصد الجوائز في المباريات الأدبية عن أعماله النثرية، وقُررت بعض رواياته على طلاب المدارس، وأخرجت أفلامًا للسينما. ولكن هذا النجاح في الرواية لم يصرفه عن كتابة المسرحيات التي أعطاها جُلَّ إنتاجه، فقد اقتحم ميدان الحياة الأدبية في مصر بجرأة وثقة وجسارة وأصبح كما يقول محمود تيمور: **«ذلك الشاب المثقف الذي وفد من حضرموت إلى مصر ليغتصب جوائز المسابقات الأدبية اغتصابًا، لأنه لم يكن يترك مسابقة إلا ويدخلها فتفوز مسرحياته بالجائزة»**[١]. ويروي صاحب صحيفة الشورى المجاهد الفلسطيني محمد علي الطاهر في سياق حديثه عن ذكرياته مع باكثير هذه الواقعة فيقول: **«وقد بلغ من نبوغه المثالي أن وزارة الشئون الاجتماعية طلبت سنة ١٩٤٧م ست روايات في مواضع معينة وأقامت مسابقة مصحوبة بمكافأة باهظة فتلقت الوزارة خمسمائة رواية. ولما فحصت اللجنة المختصة ذلك الجبل من الروايات اختارت ستًا، ولما ظهرت غلافات الأسماء ظهر أن الأستاذ على أحمد باكثير قد فاز بروايتين من الروايات الست، وهو فوز باهر لا مثيل له، فداعبته إحدى الصحف طالبة من الحكومة منع الأستاذ باكثير من دخول المسابقات»**[٢]. وقد نالت أولى مسرحياته في مصر **«أخناتون ونفرتيتي»** ١٩٤٠م **جائزة المباراة**

(١) تيمور، محمود، طلائع المسرح العربي، دار نهضة مصر، ص ٢٢.
(٢) الطاهر، محمد علي، في ظلام السجن، مكتبة الخانجي، ١٩٥١م، القاهرة، ص ٧٥.

الأدبية للفرقة القومية، كما نالت روايته الأولى «**سلامة القس**» **جائزة السيدة قوت القلوب الدمرداشية** مناصفة مع **نجيب محفوظ** عن رواية «**رادوبيس**» فحصل كلٍ منهما على أربعين جنيها.

ومضى باكثير بعدها يكتب بعزيمة لا تعرف الكلل تاركًا أعماله تفرض نفسها على الجوائز الأدبية، فينال سنة ١٩٤٥م **جائزة وزارة المعارف**، عن روايته الشهيرة «**وا إسلاماه**» التي قُررت على المدارس فيما بعد في عدد من البلاد العربية. وينال الجائزة نفسها في السنة التالية ١٩٤٤م عن مسرحية «**السلسلة والغفران**». وتحصل أكثر مسرحياته حظًا في العروض المسرحية «**سر الحاكم بأمر الله**» قبل عرضها على **جائزة وزارة الشئون الاجتماعية** سنة ١٩٤٧م، وعن مسرحية «**أبو دلامة مضحك الخليفة**» يحصل على **جائزة وزارة الشئون الاجتماعية** أيضا سنة ١٩٥٠م حتى قيل وقتها غبطة أو حسدًا: إن جائزة وزارة الشئون الاجتماعية أنشئت خصيصًا لباكثير!! [1].

وفي سنة ١٩٦٠م ينال «**جائزة المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية**» عن مسرحية «**دار ابن لقمان**» التي صور فيها جهاد مدينة المنصورة ضد الحملة الفرنسية الأولى بقيادة لويس التاسع الذي أسره رجال المقاومة الشعبية هناك. وفي سنة ١٩٦١ اختيرت قصته «**وا إسلاماه**» للإنتاج السينمائي باللغتين العربية والإنجليزية أخرجها الإيطالي ماريتون وأنتجها رمسيس نجيب. وفي سنة ١٩٦٢م حصل على «**جائزة الدولة التشجيعية**» عن مسرحية «**هاروت وماروت**» **ووسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى**. وفي سنة ١٩٦٣م، منحه الرئيس جمال عبدالناصر «**وسام عيد العلم**» وحصل في السنة نفسها على«**وسام الشعر**» من المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب والعلوم الاجتماعية . وفي سنة ١٩٦٤م حصل على **أول منحة تفرغ ينالها أديب**

(١) نفسه ص ٧٧.

مصري كتب فيها مطولته الدرامية التاريخية «**ملحمة عمر**» من تسعة عشر جزءًا فكانت خير ما ختم به حياته الأدبية العريضة، وقد رشح في سنة وفاته لجائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٦٩م عن «**ملحمة عمر**». وبعد وفاته بقليل سنة ١٩٧٠م أُنتج عمله الشعري أوبريت «**شادية الإسلام**» أخت الرسول بالرضاعة إلى فيلم سينمائي. وكان وراء هذا التفرد وهذه الريادة والسبق الذي حققه باكثير منذ بداية حياته الأدبية في مصر كما يشهد به **محمود تيمور**: «**أن باكثير قد رسم لنفسه هدفه الأدبي قبل أن يرتفع صوت عن الأهداف، وهدفه الأكبر فيما يكتب الدفاع عن قضايا أمته**»[1].

مصر.. حلمه الذي تحقق

عاد علي أحمد باكثير إلى وطنه الأصلي حضرموت صبيًا صغيرًا فعاش في غربة أخرى بعيدًا عن أمه وأبيه، ثم تحولت هذه الغربة إلى اغتراب في الوطن حين شب عن الطوق وتفتح عقله على أفكار رياح الإصلاح التي هبت على العالم الإسلامي بقيادة المصلحين الإسلاميين **جمال الدين الأفغاني** و**محمد عبده** من خلال قراءاته واتصاله بتلميذيهما **محمد رشيد رضا** و**محب الدين الخطيب**، فلما حاول فتح نافذة لنسمات من هذه الرياح في وطن حاربه من أسماهم بالجامدين، ووضعوا في طريقة الأشواك. وهكذا وجد باكثير نفسه منذ باكر صباه في حضرموت يطمح لخدمة أمته من خلال فكره وقلمه، ووجد أن حضرموت بل اليمن كلها وحتى جزيرة العرب، لا تتسع لطموحاته، ولن تمكنه من إيصال صوته إلى كل مكان في العالم العربي الإسلامي. وكأن القدر كان يهيئ له ظروف الرحيل، فنراه يُفجع بموت زوجه الحضرمية التي كان يحبها حبًا عظيمًا في ١٣٥٠/١/١٥هـ الموافق ١٩٣٢/٥/٢٠م فيكون ذلك سببًا في

(١) تيمور، محمود ، طلائع المسرح العربي ، دار نهضة مصر ، ص ٢٧.

تعجيل هجرته من حضرموت، والضرب في أرض الله الواسعة، فيحمل عصا التسيار ويغادر حضرموت إلى عدن التي وصلها في ١٣٥١/٢/٢١هـ الموافق ٢٥ / ٦ / ١٩٣٢م ولسان حاله يقول:

إذا نبا بكـريم مـوطن، فلـه

وراءه في بسيط الأرض ميدان

وفي عدن (المستعمرة البريطانية التي كانت مفتوحة على العالم آنذاك) تكون لباكثير أدوار وطنية وثقافية مشهودة حيث شارك في منتدياتها مشاركة فعالة، فألقى الخطب، وكتب المقالات، ونظم عشرات القصائد أثمرت ديوان **«سحر عدن وفخر اليمن»**. وفي هذا العام الذي أمضاه في عدن زار الصومال والحبشة فأنشد وخطب وكتب والتقى بشخصيات إصلاحية عديدة، ثم شدته أشواقه الروحية إلى الحرمين الشريفين فسافر من عدن بحرًا ١٣٥١/١١/٢٩ هجري الموافق ١٩٣٣/٣/٢٩ م إلى جدة بادئًا رحلته للمملكة العربية السعودية التي استمرت قرابة عام، وقد نشرت صحيفة **«صوت الحجاز»** خبر وصوله في عدد الاثنين ١٣٥١/١٢/١٥هـ الموافق١١/ ٤/ ١٩٣٣م في الصفحة الأولى بعنوان: **«وصول شاعر حضرموت الأكبر»** فحج بيت الله، ثم قصد عاهل الجزيرة **الملك عبدالعزيز آل سعود** الذي استبشر بملكه خيرًا، ووجد في جمعه شتات جزيرة العرب تحقيقًا لوحدتها، وفي دعوته السلفية النقية تطهيرًا لعقيدة التوحيد، وأقام صلات مع ولديه **سعود وفيصل** الملكين فيما بعد.

وغادر الحجاز إلى مصر بحرًا عبر ميناء ينبع على الباخرة الطائف في ١٣٥٢/١٠/٢٦هـ الموافق ١١/ ٣ / ١٩٣٤م إلى مصر بعد عام حافل أمضاه بين أدباء الحجاز وترك في هذه المرحلة تراثًا أدبيًا قيمًا أهمه ديوانًا شعريًا بعنوان: **«صبا نجد وأنفاس الحجاز»** ومحاضرات ومذكرات مراسلات مع الأدباء. وقد أكرمت المملكة ـ حكومةً وأدباء ـ وفادته، وعرفت له قدره

ومكانته، وهو ما شهدت به صحف ذلك العهد، وشهد به النتاج الغزير الذي أنتجه خلال الحقبة التي أمضاها هناك.

وقد عبر عن حبه لمصر وحلمه لزيارتها والإقامة بها واللقاء بمن أحبهم من أدبائها وشعرائها الذين قرأ لهم وتتلمذ على كتبهم، وهو ما يشهد به ديوان صباه في حضرموت **«أزهار الرُّبا في شعر الصبا»**، إذ نجده يقول بعد أن ضاقت به الحال في حضرموت:

سأرحل من بلاد ضقت فيها   تلازمني بها أبدًا شُعوبُ

فأجتاز البحار لأرض (جاوا)   إلى حيث المقام بها يطيبُ

وأعبر (مصر) حيث العلم حيث الـ   ـحضارة حيث يُحتَرم الأديبُ

وحيث الشعر خفاق لواه   وحيث الضاد مرعاها خصيب(1)

ووصل إلى عدن سنة ١٩٣٢م على أمل أن يتحقق له حلم السفر إلى مصر في أقرب وقت ممكن إلا أن رسائل الوالدة من جاوا بإندونيسيا تطلب منه التأجيل فيكتب قصيدة يقول فيها:

بينما كنت شغوفًا بالمنى   والأحاديث لـ (مصر) والحُلم

موقنًا رؤيتها في أقرب الـ   ـوقت لا شك هناك لا جرم

إذا أتاني نبأ من (جاوة)   أن تقهقر، لا تقل بالا: نعم

أنكوصًا عن بلاد قد حوت   (أزهرًا) و(الدار) بنبوغ الحكم

هل لنا من عودة لموطن الـ   ـحلم: (وادي النيل) و(أرض الهرم)

وأمام إلحاح هذا الخاطر القوي الذي يشده للسفر إلى مصر لم يستطع الذهاب إلى إندونيسيا (جاوا) رغم أشواق والدته التي كانت تلح عليه، وربما آثر أن يغلب أشواقًا أخرى كانت تناديه أيضًا وهي أشواقه الروحية للأراضي المقدسة فرفع جناحيه

(1) باكثير، علي أحمد، ديوان أزهار الربا في شعر الصبا، تحقيق وتقديم محمد أبوبكر حميد، دار المناهل، بيروت ١٩٨٨م، ص ١٥١.

عن عدن في ١٩٣٣/٣/٢٥م إلى الحجاز حيث أقام قرابة عام ثم غادرها إلى حلمه الكبير.. مصر مستقره النهائي، ولم تقدر له العودة لرؤية والدته فظل بعيدًا عنها منذ فارقها صبيًا صغيرًا حتى وفاتها في ١٨/ ١/ ١٩٥٣م.

وصل علي أحمد باكثير إلى مقصده ومحطته النهائية مصر في ١٩٣٤/٢/١٣م ليبدأ من هناك في خدمة أمته على أوسع نطاق.. ولم يصل إلى مصر مغمورًا، بل وصل إليها شاعرًا معروفًا لدى أعلام الأدب والفكر فيها لما سبق أن نُشر له من قصائد في أهم مجلات وصحف العصر، فقد نشر له محب الدين الخطيب في مجلة «**الفتح**» ونشر له محمد رشيد رضا في مجلة «**المنار**» ونشر له **محمد توفيق دياب** في صحيفة «**الجهاد**» كما نشر في معظم صحف المهجر الشرقي. وما أن هبط القاهرة حتى تلقت تلك الصحف والمجلات قصائده بالترحاب، وأفردت لها الأماكن البارزة على صفحاتها الأولى، وقد بلغت أبيات أول قصيدة نشرت له بعد وصوله مصر أكثر من سبعين بيتًا، نشرت في عمود مستطيل بالصفحة الأولى من صحيفة «**البلاغ**».

قال في مطلعها:

يا مصر! شاق البلبل التغريد ... والأيك أنت وحوضك المورودُ
وافاك من أقصى الجزيرة شاعر ... أضناه دهر في هواك مديد
كم صب أدمعه عليك صبابةً ... والليل يعلم والنجوم شهود

ثم يدافع عن وجوده بمصر فيقول:

إن تضح داري (حضرموت) فإنني ... في (مصر) بين الأقربين سعيدُ
من أصلهم، أصلي ومن دمهم ... آباء صدق بيتنا وجدودُ
يا مصر أنت على البسيطة جنةً ... ما في البسيطة مثلها موجودُ
للدين فيك وللعروبة معقلٌ ... لا يستباح، ومنهل مقصودُ[1]

(١) صحيفة البلاغ، العدد ٣٤٥٧، الأحد ١٥/١/١٣٥٢هـ الموافق ٢٩/٤/١٩٣٣م، القاهرة.

وقد لفتت هذه القصيدة البديعة القوية بفكرها وفنها وجرأة صاحبها الأنظار إلى الشاب الحضرمي اليماني القادم إلى مصر.

يقول في قصيدة أخرى يخاطب بها المصريين:

أبوكم أبي يوم التفاخر (يعربُ) ... وجدكمو و(فرعون) أضحى بكم جدي[1]

وفي قصيدة تهنئة للزعيم **مصطفى النحاس** بمناسبة عودة الوفد للحكم سنة ١٩٤٢م يعيد العزف على الفكرة نفسها مذكرًا:

أبناء (مصر)! دم العروبة فيكمُ ... يجري ويعلو عزّة وإباء
إن (الفراعنة) الذين نموكمُ ... كانوا لـ (قحطان) العُلى أبناء[2]

كان من المتوقع أن يتألق باكثير في ميدان الشعر، وينافس فيه عمالقة عصره، وهي الغاية التي كان يطمح إلى تحقيقها منذ خرج من حضرموت، غير أن التحاقه بالجامعة المصرية وانضمامه لقسم اللغة الإنجليزية، وما نتج عن ذلك من تأثره بشكسبير وإعجابه بفن المسرحية، قد جعله ينصرف عن الشعر، ويتجه للتركيز على الكتابة الدرامية التي بدأها بتأليف المسرحية الشعرية ثم تحول إلى المسرحية النثرية.

وصل باكثير مصر وأعلام الشعر قد بدأت تطوى، وبخاصة بعد رحيل **أحمد شوقي** و**حافظ إبراهيم**، إذ توفي **حافظ** في يونيو سنة ١٩٣٢م، ثم توفي **شوقي** في أكتوبر في السنة نفسها أثناء وجوده في عدن، وصدم بموتهما صدمة كبيرة، فقد كان يعدهما قبل أن يتعرف على **شكسبير** ــ مثله الأعلى ــ في الشعر ورثاهما بقصيدتين طويلتين في ديوانه «**سحر عدن وفخر اليمن**»، حيث قال في قصيدة رثاء **شوقي** معبرًا عن ألمه لضياع فرصة اللقاء بشوقي وحافظ في مصر، شاكيًا غربته، مشيرًا إلى تراكم الأحزان عليه بعد مصيبته في وفاة

(١) من قصيدة على لسان المتنبي ألقاها بمناسبة احتفال جامعة فؤاد الأول بألفية المتنبي. مجلة الرسالة ....
(٢) قصيدة «لا تئس تهنئة الرئيس» بديوانه (وحي ضفاف النيل) جمع وتحقيق د.محمد أبوبكر حميد (قيد الأعداد للنشر).

زوجته الحضرمية الشابة:

يا بنات النيل أسعدْنَ أخا ... غربة لوَّحه طول السفر
(حضرموت) داره حيث التقت ... باسقات النخل فيها والسدر
خطف الدهر بها من يده ... زهرة منكن في العمر النضر
ماثلتكن جمالا وحلى ... وتسامت بحياء وخفر
فانبرى ينشد في (مصر) العزا ... فإذا (مصر) عليه تستعر
سلبت (حافظها) في غرة ... ثم (شوقيها) بلمح من بصر
كم تمنيت بأن ألقاهما ... فأرى (الوالد) و(العم الأبر)[1]

سنوات الانتشار من القاهرة والمنصورة

وفي العام الدراسي ١٩٣٤-١٩٣٥م التحق بقسم اللغة الإنجليزية بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة). لكي يثري شاعريته ويرفدها بكنوز الشعر الإنجليزي، بناءً على نصيحة **أحمد أمين** الذي اختبره في لجنة القبول بالجامعة ورأى أنه قد استكمل ثقافته في الأدب العربي وتراثه، ولا يحتاج للالتحاق بقسم اللغة العربية وآدابها.

لكن لقاء باكثير بشكسبير في مسرحياته وإعجابه بها جعله يعدل عن طموحه في أن يكون شاعرًا كبيرًا إلى أن يكون كاتبًا مسرحيًا كبيرًا، ولما كان قد دلف إلى المسرح من باب الشعر لهذا بدأ إنتاجه المسرحي في مصر بكتابة المسرحيات الشعرية مثل شكسبير. وكانت وجهة نظر باكثير أن الشعر لم يعد فنا جماهيريًا وأصبح فن النخبة بينما المسرح وفنون التمثيل الأخرى أصبحت هي الفنون الجماهيرية التي تجتذب عامة الناس. ومن هنا كان عدوله عن الأداة الشعرية التي بدأ يكتب بها أوائل مسرحياته، واتجه للنثر لأن اللغة النثرية هي

(١) ديوان «سحر عدن وفخر اليمن»، مصدر سابق، ص ١١٤، ١١٥.

اللغة الواقعية المثلى في مخاطبة الجماهير.

وفي سنة ١٩٣٦م، وهو في السنة الثالثة بقسم اللغة الإنجليزية ترجم مسرحية شكسبير (روميو وجولييت) بطريقة الشعر المرسل المنطلق تحديا لأستاذه الإنجليزي الذي قال له: إن هذا الضرب من الشعر لا يوجد إلا في اللغة الإنجليزية وحدها. وفي سنة ١٩٣٨م، يكمل باكثير ملامح تجربته الرائدة بتأليف مسرحية (أخناتون ونفرتيتي) ويلتزم فيها بحرا واحدا هو بحر المتدارك، وقد عدّها كثير من النقاد التجربة الأم للشعر الحر في أدبنا العربي.

وضع باكثير تجربته على الناس ومضى يؤلف وينشر غيرها تاركا القوم من بعده يختصمون ويتجادلون- لعدة سنوات- بحثا عن رائد الشعر الحر الحقيقي. لم يقل باكثير هأنذا، ولم يدخل في معمعة القيل والقال، فنسبتها **نازك الملائكة** لنفسها، ونسبها **لويس عوض** لنفسه، وأعطاها بعض النقاد **بدر شاكر السياب** رغم اعتراف السياب لباكثير بالريادة في مقال له بمجلة الآداب اللبنانية سنة ١٩٥٤م قال فيه: «**وإذا تحرينا الواقع وجدنا أن الأستاذ علي أحمد باكثير هو أول من كتب على طريقة الشعر الحر في ترجمته لرواية شكسبير روميو وجوليت التي صدرت في كانون الثاني عام ١٩٤٧م بعد أن ظلت تنتظر النشر عشرة سنوات كما يقول المترجم**»[1] وهو القول الفصل.

وقد تصدر الناقد المعروف **د. عزالدين إسماعيل** لقضية إنصاف باكثير بعد وفاته حين كتب دراسة طويلة جادة عن مسرح باكثير الشعري حيث قال: «.. **إن هذه التجربة ـ تجربة باكثير في أخناتون ونفرتيتي ـ في مجال الشعر المسرحي قد تسربت فيما بعد إلى ميدان شعر القصيدة ـ تسربت إليه بكل أبعادها الشكلية والمعنوية. فحركة الشعر الجديدة التي بدأت منذ أواخر الأربعينيات في العراق والتي امتدت فيما بعد إلى سائر الأقطار العربية**

(١) مجلة الآداب، العدد السادس، يونيو ١٩٥٤م، بيروت، ص ٦٩.

وما زالت حتى اليوم تنمو وتتطور لم تحدث في شكل القصيدة في البداية إلا ما أحدثه باكثير! [1]».

كانت المدة من سنة ١٩٣٨م إلى ١٩٤٨م مدة خصبة ومنتجة في حياة علي أحمد باكثير، فقد استطاع خلال هذه السنوات أن يحقق لنفسه مكانًا مميزًا ورائدًا في مجالات الإبداع الأدبي الرئيسية الثلاثة، وهي الشعر والرواية والمسرح. وإن كان لم يجمع شعره في دواوين إلى أن مات، إلا أن شعره في هذه الحقبة كان غزيرًا ورديفًا مساندًا للقضايا التي طرحها في رواياته ومسرحياته.

تخرج باكثير من كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) في العام الدراسي ١٩٣٨-١٩٣٩م بامتياز وحصل على شهادة تقدير من عميد الكلية آنذاك **د. منصور فهمي**. وفي العام الدراسي ١٩٣٩-١٩٤٠م حصل على شهادة معهد التربية للمعلمين التي تؤهله للتدريس بالمدارس المصرية. وفي هذه المدة كانت الحرب العالمية الثانية قد اندلعت، وانقطعت سُبل المواصلات البحرية بين الدول، ولم يعد بإمكانه الاستجابة لنداءات الوالدة النائية في إندونيسيا التي كانت تلح عليه في العودة إليها في وطن مولده، فهي لم تره منذ فارقها حين عاد به والده إلى حضرموت في سن العاشرة سنة ١٩٢٠م كما لم يستطع العودة إلى وطنه الأصلي حضرموت.

وهكذا وفقت ظروف الحرب العالمية الثانية حجة له للبقاء في مصر أمام النداءات التي تطالبه بالعودة، ونتج بطبيعة الحال عن هذه الظروف انقطاع الموارد المالية التي كانت تصله من إندونيسيا. ولهذا فإن الاستقرار في مصر يتطلب منه البحث عن وظيفة ليعيش منها، فالتحق في السنة نفسها بمعهد التربية للمعلمين لمدة سنة، وتخرج منه في العام الدراسي ١٩٣٩-١٩٤٠م. وكانت أمنيته أن يجد فرصة

(١) مجلة المسرح، العدد ٧٠-٧٢، سنة ١٩٧٠م، القاهرة.

عمل للتدريس في القاهرة قريبًا من نبض الحياة الأدبية، وقريبًا من المسرح الذي أحبه وبدأ يكرس مواهبه الأدبية للإبداع فيه. ولكنه لم يجد، فاضطر لقبول وظيفة لتدريس اللغة الإنجليزية بمدرسة الرشاد الثانوية في المنصورة، فانتقل إليها، وهناك أتيح له الزواج من سيدة مصرية في ٦/٢٤/ ١٩٤٣م، ظل يرعاها وترعاه بالمودة والوفاء إلى أن انتقل إلى جوار ربه.

أمضى باكثير في المنصورة سبع سنوات من ١٩٤٠م إلى ١٩٤٧م، أتيح له في هذه السنوات كتابة رواياته الشهيرة، ونظم أشعارًا كثيرة، وتأليف العديد من المسرحيات التي حازت الجوائز في معظم المباريات الأدبية، لكن أيًا من هذه المسرحيات لم يعرض على المسرح، لهذا آثرت أن أطلق على هذه المرحلة من حياته مرحلة الانتشار، وهي المرحلة التي حقق فيها انتشارًا من خلال التواصل الحميم مع منافذ النشر في القاهرة حيث كان ينشر بانتظام في مجلاتها الشهيرة مثل «**الرسالة**» و«**أبوللو**» و«**الفتح**» وصحفها الكبيرة مثل «**الأهرام**» و«**البلاغ**» و«**السياسة**» و«**المقطم**» و«**الوادي**» وغيرها. وهكذا استطاع باكثير من المنصورة أن يُحدث صدى لدى النقاد والقراء في القاهرة، وهو الصدى الذي مهد له الطريق إلى دور العرض المسرحي الرئيسية هناك فيما بعد.

وفي صيف ١٩٤٧م غادر باكثير المنصورة ليستقر في القاهرة مغتبطا ومستبشرًا بمرحلة جديدة من حياته الأدبية وكفاحه الفني.تابع باكثير في سنوات وجوده في المنصورة (١٩٤٠-١٩٤٧ م) مدى استفادة الحركة المسرحية في القاهرة من الأحداث السياسية ، وكان أهمها عودة حزب الوفد إلى الحكم في يونيو ١٩٤٢م وضخها دماءً جديدة في شريان اهتمام الدولة بالحركة المسرحية. ونتج عن ذلك قرار حل «الفرقة القومية» في أغسطس ١٩٤٢م وتأسيس فرقة جديدة من أعضائها أطلق عليها اسم «**الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقي**».

وبنهاية العام الدراسي غادر المنصورة في صيف سنة ١٩٤٧م إلى

القاهرة مسرورًا ، بعد حصوله على فرصة عمل للتدريس بمدرسة الدواوين الثانوية.. عاد إلى القاهرة منتشيًا بالسمعة التي حققها نجاح فيلم «سلامة القس» سنة ١٩٤٤م الذي كتب قصته وأغانيه للسيدة أم كلثوم، إضافة إلى المكانة التي أسسها لنفسه اسمًا ومكانة في الوسط الثقافي والأدبي.

ريادته في المسرح السياسي العربي

وهكذا نجد أن باكثير بدأ منذ هذه المرحلة الأولى من حياته الأدبية في مصر قويًا ثابتًا.. بدأ بأعمال كتبها في مصر ولها علاقة حميمة بتاريخ مصر وفي الوقت نفسه تقع في صميم خريطة التفكير عنده وهو محورا الإسلام والعروبة، وهو الخط الأساسي الذي تجسد في كل أعماله فيما بعد.

وتوالت أعمال باكثير بعد هذه المسرحية، حين استقرت به الحياة في مصر. فقد كتب قبل الثورة المصرية سنة ١٩٥٢م ما يقرب من عشرين مسرحية تعاملت معظمها مع القضايا السياسية، إما بالمعالجة الرمزية أو الواقعية للتاريخ والأسطورة أو الحياة السياسية المعاصرة ولم يكتب إلا مسرحيتين اجتماعيتين، وهما: **«السلسلة والغفران»** ١٩٤٤م و**«الدكتور حازم»** ١٩٤٥م. ويظل العامل السياسي عنصرًا أساسيا في معظم أعمال باكثير، التي تكون نواتها الأساسية فكرة إسلامية وتتخذ أُطرها الخارجية من الأساطير أو التاريخ أو الواقع السياسي المعاصر. ففي أولى مسرحياته في مصر وهي **«أخناتون ونفرتيتي»** يصور باكثير كيف ينهار بناء المحبة والعدل والسلام عندما لا تحميه القوة. وفي **«الفرعون الموعود»** ١٩٤٤م يرمز باكثير للأوضاع السياسية الفاسدة في مصر. ويلتفت باكثير إلى وطن مولده إندونيسيا سنة ١٩٤٦م ويصدر مسرحية **«عودة الفردوس»** ليصور فيها كفاح إندونيسيا المسلمة ضد الاستعمار الهولندي.

ولكن البحر الحقيقي الذي خاض فيه باكثير بعمق، وسبح فيه طولاً

وعرضًا ووهبه جُلَّ اهتمامه وهمه، كان ذلك البحر الذي خاضه باكثير هو قضية فلسطين، وأبعاد التآمر الاستعماري الصهيوني عليها، فكانت مسرحياته عنها صرخات متوالية كتلك التي ترسلها السفن من أعماق البحار قبل الغرق.

لم يهتم باكثير بمجريات أحداث الحرب العالمية الثانية بقدر ما اهتم بانعكاس هذه الأحداث على قضية فلسطين والصراع الدائر فيها بين الفلسطينيين من جهة والإنجليز واليهود من جهة أخرى، ولم تكن سنة ١٩٣٩م بالنسبة له بداية الحرب العالمية الثانية فحسب بل بداية تنفيذ التآمر الدولي على فلسطين. وهذا يدل على أن باكثير كان على وعي بهذه الأحداث من خلال متابعته الدقيقة لها، وقد جعله هذا يعيش أزمة نفسية ويشعر بحزن عميق خوفًا من كارثة يتوقع حلولها بفلسطين، فكتب سنة ١٩٤٤م، مسرحية **«شيلوك الجديد»** التي توقع بها قيام دولة إسرائيل ثم تلاها بأربع مسرحيات طويلة عن فلسطين وهي (إله إسرائيل) ١٩٥١م، (شعب الله المختار) **١٩٥٨م، (لباس العفة) ١٩٦٥م، (والتوراة الضائعة) ١٩٦٨م.**

ومن حسن الحظ أنني عثرت على معظم المسرحيات القصيرة التي كان ينشرها أسبوعيًا سنة ١٩٤٨م، ولا شك أن ما كتبه في هذه السنة الحاسمة القاصمة في تاريخ العرب والمسلمين أكثر مما نشره في السنوات السابقة. حصلت مما نشره باكثير قبل قيام دولة إسرائيل على ثلاثة عشر عملاً تُعدُّ سجلاً فنيًا رائدًا وفريدًا للأحداث التي شهدتها الساحتان العربية والدولية ، فقد صور التسابق المحموم الذي قادته أمريكا وبريطانيا وروسيا للتعجيل بإعلان دولة إسرائيل عبر توظيف المنظمة الدولية وأمينها العام لخدمة هذا الهدف. كما حصلت أيضًا على ثلاثة عشر عملاً آخر مما نشره بعد النكبة ، وأعتقد أن ما نشره في تلك الحقبة أكثر مما حصلنا عليه، فقد ذكر في أحد أحاديثه الصحفية أنه كتب سبعين مسرحية سياسية قصيرة عن قضية فلسطين.

ومن المسرحيات التي نشرها سنة ١٩٤٧م عثرت على ست مسرحيات فقط، وهي «**ثماني عشرة جلدة**» نشرت في ١٩٤٧/١/١١م تصور الإرهاب الذي تمارسه الجماعات اليهودية المسلحة ضد الإنجليز وخاصة جماعة الأرغون يقودها **مناحم بيجن** وتقوم باختطاف الجنود والضباط الإنجليز وضربهم. ومسرحية «**مصرع مادلين هيتكليف**» نشرت في ١٩٤٧/٢/٨م تدور أحداثها في فندق الملك داود تفضح الموقف التركي المؤيد لإسرائيل، ومسرحية «**جلسة مع الشيطان**» نشرت في ١٩٤٧/٢/٢٨م تدور أحداثها في مكتب **أرنست بيفن** (١٨٨١ــــ ١٩٥١م) بلندن الذي تولى وزارة الخارجية البريطانية في عهد **ونستون تشرشل** (من سنة ١٩٤٥م إلى وفاته)، وقد أثار تأييده الصريح للصهيونية سخط العرب عليه وحملاتهم الإعلامية ضده، وكانت هذه المسرحية صورة فنية عبرت عن هذا السخط وكشفت عن اتفاق تشرشل مع ترومان على السماح بإدخال مائة ألف يهودي لفلسطين مقابل مساعدة مالية لبريطانيا! أما مسرحيتا «إمبراطورية في المزاد» نشرت في ١٩٤٧/٣/٢٣م و«**يوم المزاد الدولي**» نشرت في ١٩٤٧/٥/٦م ففيهما يسخر باكثير من **الإمبراطورية التي لا**

انعكست في مسرحيات باكثير التسجيلية هذه الظروف الدولية التي شهدتها سنة ١٩٤٥م وما بعدها، وتأثير ذلك على الساحة الإقليمية العربية وقضية فلسطين. إذ كانت سنة ١٩٤٥م السنة التي انتهت فيها الحرب العالمية الثانية مزدحمة بالأحداث على الساحة الدولية وكان معظمها إن لم يكن كلها موجهًا لخدمة التعجيل بقيام دولة إسرائيل، وكان باكثير قد بدأ في هذه المدة يتابع الأحداث التي تخص القضية الفلسطينية على الساحتين الإقليمية والدولية من خلال نشره مسرحية سياسية تسجيلية قصيرة يوم الثلاثاء من كل أسبوع في صحيفة «**الإخوان المسلمون**». وعند توقفها واصل النشر أسبوعيًا أيضًا في صحيفة «**الدعوة**» إلى سنة ١٩٥٤م. وتصل مسرحياته التسجيلية السياسية القصيرة هذه إلى أكثر من ٧٠ عملاً مما يجعل ريادة باكثير في هذا الجانب لا تقصر على المسرح السياسي العربي فحسب بل تمتد هذه الريادة فنيًا إلى المسرح التسجيلي الذي ظهر في أوربا فيما بعد.

وبتصنيف ما عثرت عليه من هذه الأعمال، وجدت له ثلاث مسرحيات تنتمي لسنة ١٩٤٦م وهي «**سأبقى في البيت الأبيض**» نشرت في ١٩٤٦/١٠/٢٦م، يسخر فيها من الرئيس الأمريكي **ترومان** ودعمه المطلق للصهيونية مقابل تأييد اليهود له في الانتخابات المزمعة سنة ١٩٤٨م. ومسرحية «**أضغاث أحلام**» نشرت في ١٩٤٦/١١/٣٠م التي سخر فيها من رئيس الوزارة البريطاني **ونستون تشرشل** (١٨٧٤ــــ ١٩٦٥/) لممالأته لليهود وغرامه بهم وتمكينه لهم في فلسطين. أما مسرحية «**رسالة الرجل الأبيض**» التي نشرت في ١٩٤٦/١٢/٢٨م فهي أول مسرحية يسخر فيها من دور الأمم المتحدة ويصور الهيمنة الأمريكية عليها منذ نشأتها. وكانت هذه المسرحية ردة فعل لصدور قرار الأمم المتحدة الجائر بتقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩م.

ومن المسرحيات التي نشرها سنة ١٩٤٧م عثرت على ست مسرحيات فقط، وهي «**ثماني عشرة جلدة**» نشرت في ١٩٤٧/١/١١م تصور الإرهاب الذي تمارسه الجماعات اليهودية المسلحة ضد الإنجليز وخاصة جماعة الأرغون يقودها **مناحم بيجن** وتقوم باختطاف الجنود والضباط الإنجليز وضربهم. ومسرحية «**مصرع مادلين هيتكليف**» نشرت في ١٩٤٧/٢/٨م تدور أحداثها في فندق الملك داود تفضح الموقف التركي المؤيد لإسرائيل، ومسرحية «**جلسة مع الشيطان**» نشرت في ١٩٤٧/٢/٢٨م تدور أحداثها في مكتب **أرنست بيفن** (١٨٨١ــــ ١٩٥١م) بلندن الذي تولى وزارة الخارجية البريطانية في عهد **ونستون تشرشل** (من سنة ١٩٤٥م إلى وفاته)، وقد أثار تأييده الصريح للصهيونية سخط العرب عليه وحملاتهم الإعلامية ضده، وكانت هذه المسرحية صورة فنية عبرت عن هذا السخط وكشفت عن اتفاق تشرشل مع ترومان على السماح بإدخال مائة ألف يهودي لفلسطين مقابل مساعدة مالية لبريطانيا! أما مسرحيتا «**إمبراطورية في المزاد**» نشرت في ١٩٤٧/٣/٢٣م و«**يوم المزاد الدولي**» نشرت في ١٩٤٧/٥/٦م ففيهما يسخر باكثير من الإمبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس.

وفي سنة ١٩٤٨م، نشر عددًا من المسرحيات منها«**الهدية المسمومة**» أولى مسرحيات ما قبل النكبة سنة ١٩٤٨م ، نشرت في الحادي عشر من يناير ١٩٤٨/١/١١م عقب قرار بريطانيا الانسحاب من فلسطين.ويصور في مسرحية «**ماخور الأمم المتحدة**» نشرت في ١٩٤٨/١/١٨م بسخرية مريرة مدى استغلال الدول الكبرى للمنظمة الدولية وتسخيرها لتحقيق الحلم الصهيوني. وفي مسرحية «**في سبيل راشيل**» نشرت في ١٩٤٨/١/٢٥م يسخر من التصويت على قرار التقسيم في الأمم المتحدة، التي تحولت إلى ماخور صهيوني. ويرمز في «**راشيل والثلاثة الكبار**» نشرت في ١٩٤٨/٢/١١م ، ويكمل الفكرة

الرمزية نفسها في مسرحية «**راشيل في المخاض**» نشرت في ١٩٤٨/٤/٢م، محذرًا من اقتراب موعد ولادة دولة إسرائيل.

ويسخر في مسرحيتي «**السكرتير الأمين**» نشرت في ١٩٤٨/٣/٧م و«نقود تنتقم» نشرت في الأسبوع الذي يليه ١٩٤٨/٣/١٤م سخر من السياسي النرويجي تريجيفيلي Trygvelie (١٨٩٦ــــ ١٩٦٨م) أول أمين عام للأمم المتحدة (١٩٤٥) الذي لعب دورًا شريرًا في مناصرة قيام دولة إسرائيل وكان صهيونيا أكثر من الصهيونيين أنفسهم.

وينشر قبل قيام دولة إسرائيل وحلول الكارثة بشهر أربعة مسرحيات متوالية أسبوعيًا، تصور واقع الحال السياسي والعسكري عربيًا ودوليًا في تسجيل فني للأحداث التي عجلت بالكارثة، ففي «**نشيد الأنشاد**» نشرت في ١٩٤٨/٤/١١م يكتب رسالة حب في صهيون على لسان إليانور روزفلت (١٨٨٤ــــ ١٩٦٢م) زوجة الرئيس الأمريكي الراحل فرانكلين روزفلت، لحماسها الشديد في تأييد الصهيونية. ويقدم في «**بين واشنجتون والرياض**» التي نشرت في ١٩٤٨/٤/١٨م قبل إعلان دولة إسرائيل بسبعة وعشرين يومًا رسالتين متبادلتين بين الملك عبدالعزيز آل سعود والرئيس هاري ترومان، يحتج الملك فيهما على المواقف الأمريكية المؤيدة علنًا للصهيونية.

وفي مسرحية «**شهيد القسطل**» التي نشرت في ١٩٤٨/٤/٢٥م قبل قيام دولة إسرائيل بعشرين يومًا يصور استشهاد المجاهد البطل عبد القادر الحسيني أثناء اشتباكه مع الصهاينة في معركة فاصلة بقرية القسطل، أما في مسرحية «**الطابور الخامس**» التي نشرت في ١٩٤٨/٥/٩م قبل إعلان قيام دولة إسرائيل بستة أيام، فيصور باكثير خيانة بعض اليهود المصريين وذهابهم إلى فلسطين للاشتراك في ارتكاب الجرائم مع الصهاينة هناك.

سجّل باكثير في مسرحيات ما بعد نكبة فلسطين أحداث ١٥مايو ١٩٤٨م

المتمثلة في مغادرة المندوب السامي البريطاني ميناء حيفا الفلسطيني معلنًا إنهاء الانتداب على فلسطين، واستلام القيادة الصهيونية لهذا الميناء فور مغادرته. وإعلان دافيد بن جوريون من محطة الإذاعة الصهيونية قيام دولة إسرائيل، وبث محطات الإذاعة العربية قرار حكوماتها بزحف الجيوش العربية إلى فلسطين.

وفي المدة ما بين إعلان قيام دولة إسرائيل إلى ما قبل الهدنة الأولى، في أقل من شهر، نشر باكثير مسرحيتين متفائلتين بانتصار الجيوش العربية والقضاء على دولة إسرائيل في المهد، الأولى بعنوان «**ليلة ١٥ مايو**» نشرت في ١٩٤٨/٥/٣٠م وهي رمزية ساخرة تدور أحداثها في قصر إسرائيل بتل أبيب، حيث يجيء أبطالها ممثلو الدول الكبرى الثلاث ليهنئوا بن جوريون و راشيل بمولودها اللقيط الذي حملت به سفاحًا منهم، وتنتهي بقصف الطائرات العربية لهم وتعالي صوت بن جوريون في الإذاعة يطلب النجدة لدولة إسرائيل. والمسرحية الثانية عنوانها «**معجزة إسرائيل**» تتمة لها ورغم أن موضوعها يدل على أنه كتبها مباشرة بعد الأولى إلا أنها نشرت بعد الهدنة بتاريخ ١٩٤٨/٦/١٢م تدور أحداثها في المكان نفسه، وبالشخصيات نفسها ،وفي مسرحية بعنوان «**أحلام مزعجة: رؤيا برنادوت**» نشرت في ١٩٤٨/٦/٢٠م، وتدور أحداثها بفندق شبرد بالقاهرة، حيث يقيم الكونت فيرى كابوسا يجسد ضميره الخائن في شخص يحمل اسمه يمثله، ويذكره برسالة الحياد الذي لم يلتزم به.

وآخر مسرحيتين عثرت عليهما مما نشره سنة ١٩٤٨م هما «**الخطة المزدوجة**» نشرت في ١٩٤٨/٧/٤م، و«**ترمن وجردس**» نشرت في ١٩٤٨/٩/١٥. و تدور أحداث المسرحية الأولى في مقر الوكالة اليهودية بتل أبيب، وأبطالها مناحم بيجن زعيم عصابة أرجون وجاكوب زعيم عصابة شتيرن وبن جوريون، أما مسرحية «**ترمن وجردس**» نشرت في ١٩٤٨/٩/١٥م وكلمة

عنوانها (ترمن) مشتقة من اسم الرئيس الأمريكي ترومان و (جردس) مشتق من اسم مكتوب جواتيمالا (في أمريكا الجنوبية) جرانادوس، وكلاهما كان نصيرًا للصهيونية بحماس منقطع النظير.

وهكذا ظل باكثير في سنوات الغليان التي شهدتها مصر والعالم العربي، في مرحلة ما قبل الثورة المصرية يمثل الواجهة الوطنية للمسرح المصري، وكان الكاتب المسرحي الوحيد الذي شارك من خلال الكوميديا السياسية على وجه الخصوص، في كل القضايا الوطنية والقومية والإسلامية، ولم يزاحمه في هذا الجانب النضالي أي كاتب آخر، إذ كان **توفيق الحكيم** في هذه المدة بعيدا بقلمه عما يحدث على الساحة السياسية لأمته، غارقا في تأملاته الفكرية المجردة بكتب (**تحت المصباح الأخضر**) و(**من البرج العاجي**) ويسجل السيرة الذاتية في «**زهرة العمر**» والتجارب العاطفية في «**الرباط المقدس**» وأغلبها أعمال غير مسرحية. أما المسرحيات التي كتبها، فكانت كلها بعيدة عن الواقع السياسي الذي تعاني منه أمته، ولم تتعامل معه حتى بالرمز إلا فيما ندر. وهذا لا يعيب الحكيم ولا يقلل من شأنه فقد كان بطبيعته ميالاً للفكر الخالص، والتأمل المجرد للدرجة التي ظن فيها أنه يكتب مسرحياته «للقراءة»، لا «للعرض» الأمر الذي أطلق على بعض نتاجه «**المسرح الذهني**».

أعماله التي تصدرت المواسم المسرحية

كان باكثير معروفًا للوسط الفني في القاهرة سنة ١٩٤٣م، بسبب شهرة فيلم «سلامة القس» وقد رحب الرجلان بأعمال باكثير، وطلب يوسف وهبي من زكي طليمات أن يقرأها ليرشح ما يصلح منها للعرض المسرحي، فرشح «**سر الحاكم بأمر الله**» آخر مسرحيات باكثير آنذاك، ولما قرأها يوسف وهبي قال لباكثير بحماس: «تفسير جديد وجذاب لتاريخ شخصية غامضة.. لقد رأيت نفسي

في شخصية الحاكم بأمر الله»(١). وهكذا أصبح عرض مسرحية «سر الحاكم بأمر الله» لا يشكل علامة طريق لمرحلة ازدهار جديدة في حياة باكثير الأدبية والفنية، بل يشكل أيضًا بداية مرحلة من الازدهار في تاريخ المسرح المصري في تلك الحقبة.

عروض مسرحية سر الحاكم بأمر الله:

مثلت «الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى» في أول أكتوبر ١٩٤٨م، مسرحية باكثير «**سر الحاكم بأمر الله**» أخرجها زكي طليمات ومثلها فريق من أساتذة التمثيل العربي حيث قام يوسف وهبي بدور الحاكم ومعه حسين رياض، وأمينة رزق وسراج منير وفاخر فاخر وفردوس حسن. وقد أعيد تمثيلها مرة ثانية حين افتتحت بها فرقة «المسرح المصري الحديث» موسمها المسرحي لسنة ٥٣ــ ١٩٥٤م. ثم مُثلت مرة ثالثة حين قدمها «المسرح القومي» في موسم ٥٤ ــ ١٩٥٥م ثم أعاد عرضها للمرة الرابعة في موسم ٥٤ ــ ١٩٥٦م.

وفي ١٨ مارس سنة ١٩٧١م بعد وفاة باكثير بسنتين، وبعد مُضي ثلاثة وعشرين عاما على عرضها الأول أعاد «المسرح القومي» عرضها من جديد فأخرجها فتوح نشاطي وهو في السبعين من عمره وقام بدور الحاكم فيها يوسف وهبي وهو في الخامسة والسبعين من عمره. ولقيت المسرحية نجاحا كبيرا أعادت للمسرح القومي فتوته وأصالته التي فقدها، فانتعشت ذكرى باكثير بين الناس.

وقد كتبت الصحف كثيرًا عن هذا العرض وانتعشت ذكرى باكثير في أذهان الناس. وكان مما يثير الشجن الكلمة المؤثرة التي كتبها الشاعر صالح جودت في مقاله الأسبوعي في مجلة المصور قال فيها: «رحم الله باكثير.. لقد كان يقدم مسرحياته المتألقة لمؤسسة المسرح، فترفض وتركن وراء ستائر

(١) من حديث شخصي مع الأستاذ عمر عثمان العمودي زوج ربيبة باكثير، بمنزله في القاهرة ١٩٩١/٨/١٢م.

النسيان، إلى أن مات.. وقبل أن يموت بيوم واحد، قال لأصحابه الذين كانوا يسيرون معه في طريق الإيمان: (لقد ذبحوني وانتهيت). وبعد أن مات، نفضوا التراب عن إحدى مسرحياته.. «سر الحاكم بأمر الله».. ومثلها يوسف وهبي العظيم.. وأمينة رزق الرائعة.. وأخرجها فتوح نشاطي الفاخر.. واحتشدت لها جماهير لم يحتشد مثلها للمسرح منذ أكثر من عشرين سنة!» (١).

عروض مسرحية مسمار جحا:

وفي سنة ١٩٥١م ، أثناء الغليان ضد الاستعمار والحكم الفاسد فجَّر باكثير على المسرح قنبلة جديدة متمثلة في مسرحيته الشهيرة «مسمار جحا» وقد جعل باكثير من قصة المسمار المعروفة رمزًا لأساليب الاستعمار في البقاء في البلاد العربية والاستعمارية الأمر الذي جعل القائمين على المسرح وقتها يشفقون على المؤلف منها. كتب المخرج المسرحي الكبير زكي طليمات في تقديمه لطبعتها الأولى يقول: إنه طلب من باكثير تخفيف لغتها التي لن يرتاح لها الإنجليز وإنه اقترح عليه تسميتها «جحا وابنه» إبعادًا لشبهة الرمز ولكن باكثير أصر أن يتحمل تبعات عمله(٢).

وتبنى زكي طليمات موقف باكثير وأخرج المسرحية، وعرضت على مسرح الأوبرا الملكية في نوفمبر ١٩٥١م في حفل كبير كتبت خبره كل الصحف. وقام بدور جحا فيها الممثل القدير سعيد أبوبكر، ومعه نعيمة وصفي وسميحة أيوب وعبدالرحيم الزرقاني وعدلي كاسب والممثل الناشئ عبدالمنعم إبراهيم، الذي بدأ نجمه في البروز منذ ذلك العرض. وأحدثت المسرحية صدى كبيرا في الأوساط الثقافية والسياسية وتناولتها كل الصحف وقرظها النقاد،

(١) مجلة المصور العدد ٢٤٤٠، يوليو ١٩٧١م، القاهرة.
(٢) مقدمة الطبعة الأولى، مكتبة مصر، ب، ت، القاهرة.

وأقيمت حولها الندوات، واعتبرت حفلاتها تظاهرة وطنية ضد الاستعمار، في قلب وطن يحتله الاستعمار.

عروض مسرحية سر شهرزاد:

وبعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م استمر نجم باكثير في الصعود وبدا وكأنه سيصبح أكثر تألقا في عصرٍ بشر به، وكرَّس الكثير من أعماله في سبيله. ولكن هذا التألق كان إلى حين. كانت مسرحية «**سر شهرزاد**» أول مسرحية تعرض لباكثير بعد الثورة. وكان نجاحها يؤكد ثبات قدم الرجل في فنه. ففي ١٥ نوفمبر ١٩٥٣م افتتحت الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى موسمها المسرحي لسنة ١٩٥٤/٥٣م على مسرح الأوبرا بمسرحية باكثير «**سر شهر زاد**»، وقد تأجل عرض هذه المسرحية التي كتبها باكثير في أواخر سنة ١٩٥١م إلى ما بعد قيام الثورة المصرية لكن المسرحية نشرت في كتاب قبل الثورة بشهور، واستقبلت استقبالا حسنا من النقاد خاصة وإنها عبرت عن تفاقم حالة الفساد في حكم شهريار وأظهرت الحاجة الملحة إلى الثورة والتغيير.

وقد أخرج المسرحية فتوح نشاطي وقام بدور شهريار الممثل القدير أحمد علام ومثلت أمينة رزق دور شهر زاد وقام ببقية الأدوار كل من: فردوس حسن، نجمة إبراهيم، وفؤاد شفيق وبرلنتي عبدالحميد ومحمد الطوخي وسامية رشدي وغيرهم. ولقيت المسرحية نجاحا جماهيريا كبيرا إذ عرضت في ثماني عشرة حفلة.

عروض مسرحية أبودلامة مضحك الخليفة:

وبعد ذلك عرضت لباكثير مسرحية فكاهية أخرى، لم تخل من الرموز، وهي «أبو دلامة مضحك الخليفة»، وهي أيضا من المسرحيات التي كتبها قبل الثورة، فقد نشرت سنة ١٩٥١م وتم عرضها بعد الثورة على مسرح الأوبرا

سنة ١٩٥٤م، واستمر عرضها متتابعا من ٣ إلى ١٥ نوفمبر، وقد أخرجها فتوح نشاطي، وقام بدور أبى دلامة الممثل القدير حسين رياض، فلما مرض قام بالدور في بقية العروض الممثل فاخر فاخر الذي لا يقل جدارة عن السابق. وقد شارك في تمثيلها غيرهما من ممثلي «فرقة المسرح القومي». وكانت هذه المسرحية آخر عهد فرقة المسرح القومي بروائع باكثير. وقد عرضت هذه المسرحية في الكويت في سنة ١٩٦٣م وقام بإخراجها زكي طليمات.

وفي المواسم التالية أعيد عرض اثنتين من مسرحياته التي لقيت نجاحًا جماهيريًا كبيرًا قبل الثورة. فقد أعيد عرض مسرحية «**سر الحاكم بأمر الله**» التي ظلت على ثلاث سنوات متتالية تفتتح بها المواسم المسرحية (٥٣ ـ ١٩٥٤م)، (٥٤ـ١٩٥٥م) (٥٥ ـ ١٩٥٦م)، على خشبة المسرح القومي. كما أعيد عرض مسرحية «**مسمار جحا**» على المسرح القومي على مدى عامين متتاليين في الموسم المسرحي (٥٥/١٩٥٦م)،(٥٦/١٩٥٧م).

وكان عرض «**مسمار جحا**» في موسم ١٩٥٧/٥٦ آخر مسرحية تعرض لباكثير على المسرح القومي، الذي بدأ منذ ذلك العام يدير لباكثير وغيره من الرواد ظهره منذ تعيين الشيوعي المعروف أحمد حمروش مديرا عامًا للمسرح القومي في ٢٦ أكتوبر ١٩٥٦م، ومع ذلك فلم يكن ذلك آخر عهد باكثير بخشبة المسرح على كل حال. فقد أتيح لمسرحيته السياسية «**شعب الله المختار**» الظهور في يناير سنة ١٩٥٨م ولكن على مسرح آخر.. على «مسرح حديقة الأزبكية» مثلتها «فرقة المسرح الشعبي المصري» من إخراج كرم مطاوع.

ماساة الانكسار وفجيعة الموت

باستثناء مسرحية «**حبل الغسيل**» التي عُرضت سنة ١٩٦٥م،و كشف فيها عن سيطرة اليسار على شئون الفن والمسرح وخاصة المسرح القومي في

المدة التي تولى فيها الشيوعي المعروف أحمد حمروش إدارة المسرح القومي(١٩٥٦-١٩٦١م) ، فإنه لم تعرض لباكثير مسرحية من مسرحياته التي تمثل اتجاهه الفني والفكري الرئيسي. فلم يشاهده جمهور المسرح حتى وفاته إلا في مسرحيتين ــ ليس على خشبة المسرح القومي ــ الأولى مسرحية «**قطط وفيران**» مثلثها «فرقة المسرح الحديث» على «مسرح الهوسابير» أخرجها حسن إسماعيل واشترك في تمثيلها حسين الشربيني وحسن شفيق وعقيلة راتب وزهرة العلا وأحمد شكري. والثانية مسرحية «**جلفدان هانم**» مثلتها «فرقة المسرح الكوميدي» على مسارح التليفزيون إخراج عبدالمنعم مدبولي تمثيل محمد عوض ونعيمه وصفي تقديرًا من وزير الإعلام آنذاك د.عبدالقادر حاتم الذي كان متعاطفًا مع باكثير لمعرفته بحيثيات ما يحدث له مع «المسرح القومي» و«وزارة الثقافة والإرشاد القومي»!!

عُرضت مسرحية «**قطط وفيران**» في موسمين مسرحيين الأول موسم ١٩٦٢-١٩٦٣م، والثاني موسم ١٩٦٤-١٩٦٥م في أكثر من ثلاثين حفلة. أما مسرحية «**جلفدان هانم**» فلم تعد لباكثير ذكريات مجده المسرحي فحسب، بل وحققت مجدًا ونجاحًا «لفرقة المسرح الكوميدي» ولمخرجها ولممثليها، ولا ينسى الممثل محمد عوض أن بروز نجمه وتألقه بدأ بدوره في هذه المسرحية. وقد عرضت مسرحية «جلفدان هانم» على مدى موسمين مسرحيين متتاليين ١٩٦٢-١٩٦٤م، قدمت فيهما ما يقرب من سبعين عرضًا جماهيريًا ناجحًا، ففي الموسم الأول حققت ٢٧ حفلة، وفي الموسم الثاني ٣٩ حفلة!

ولو لم ينشئ وزير الإعلام د.عبدالقادر حاتم مسرح التليفزيون لما ظهرت هذه المسرحيات وعشرات غيرها للكتاب القوميين الآخرين الذين لا يرضى الاتجاه اليساري عن أفكارهم ومنهم باكثير. وذلك بعد أن رأى د.حاتم اتجاه وزير الثقافة د.ثروت عكاشة للتمكين لبعض العناصر اليسارية والشيوعية

مثل محمود أمين العالم، وسعد كامل وأحمد حمروش وغيرهم والعناصر المنتفعة من اتجاههم مثل د.علي الراعي في وزارته والهيئات التابعة لها، وقد اعترف د.ثروت عكاشة بالتمكين لهؤلاء في مذكراته ولكن بعد فوات الأوان..!

ولحسن الحظ، حظ تاريخ المسرح المصري أني عثرت بين أوراق مكتب باكثير بمنزله بالقاهرة على إيصالات استلام المسرحيات التي كان يكتبها تباعًا دون يأس ويقدمها للمسرح القومي فيلجأ إلى الصمت ولا يرد برفض أو قبول. وقد شهد صديقه د.عبده بدوي بهذا حين كتب يقول : « ... كان تجاهل المسئولين عن المسرح القومي، ولكنه كان يتحدى هذا التجاهل بالاستمرار في الكتابة، وكم كان يتحدى هذا التجاهل بالاستمرار في الكتابة، وكم كان قاسيًا على نفسه أن يكتب ثم يعرض ما يكتب على اللجان ثم يكون الرفض المقنع!» (١).

ولما كان الناقد المعروف د.عبدالقادر القط عضوًا في لجنة القراءة التقيت به في القاهرة بتاريخ ١٩٩٤/١٢/٢٠م واستفسرت منه عن مشكلة مسرحيات باكثير ولجنة القراءة فقال لي: إن المسرحيات جميعًا تصل إلى أحمد حمروش وهو يعرض على اللجنة ما يشاء واللجنة تدرس ما يُعرض عليها وموقفها من الكتاب الكبار أمثال توفيق الحكيم وباكثير ومحمود تيمور وغيرهم أنهم فوق مستوى الاختبار. وأضاف: أنه لا يذكر أن مسرحية لباكثير عُرضت على اللجنة ورفضت. وهذا يعني أن أحمد حمروش لم يكن يجرؤ على تقديم أعمال باكثير للجنة القراءة ووصولات استلام المسرح القومي لها تشهد عليه بذلك. ومما يؤكد أن أحمد حمروش كان يستغل لجنة القراءة لتمرير ما يريد من مسرحيات ورفض ما لا يريد وأصبح ذلك مشاعًا في الأوساط الثقافية والفنية، ما كتبه الناقد المعروف فؤاد دوارة ــ رغم أنه يساري إلا أنه لا يجامل في الحق ــ مقالاً بعنوان «لجنة القراءة تواجه النقاد»:

(١) مجلة الهلال، نوفمبر ١٩٧٤.

«في الأسبوع الماضي وجه «أحمد حمروش» مدير المسرح القومي الدعوة إلى عدد من النقاد والأدباء للاجتماع بلجنة القراءة لمناقشتها . ورغم ميلنا الشديد للتفاؤل إلا أننا نعتقد أن مثل هذا الاجتماع لن يحقق شيئًا من أهدافه ما لم يشعر أعضاء اللجنة بمسئوليتهم الكاملة عن كل ما تقدمه الفرقة من أعمال.

وليس من المقبول بعد ذلك أن نسمع أن عضوًا هامًا من أعضائها لم يحضر جلسة واحدة من جلساتها طوال موسم بأكمله، أو أن مسرحية عرضت على اللجنة والفرقة ماضية في أداء بروفاتها، أو أن مسرحية كاتب كبير قدمت للفرقة منذ عامين ولم تعرض على اللجنة حتى الآن.. أو أن الفرقة تعاقدت مع أحد الكتاب ودفعت له أجره قبل أن يكتب حرفًا واحدًا من المسرحية...» (١).

أثار موت باكثير المفاجئ في ١٠ نوفمبر ١٩٦٩م، قبل أن يكمل الستين من عمره في النفوس شجونًا كثيرة وأحيا قضايا كادت تموت فظهرت على السطح. وكتبت عشرات الأقلام تأسى على موت باكثير مظلومًا من الأعداء ومخذولاً من الأصدقاء. ويضع فاروق خورشيد (١٩٢٨-٢٠٠٥م) النقاط على الحروف بوضوح وهو يحلل أسباب الظلم الذي عانى منه باكثير مشيرًا بصراحة إلى الذين تسببوا في ذلك من أبناء جيله فيقول في مقال بعنوان «**علي أحمد باكثير المفترى عليه**»: «لم يظلم النقد الأدبي كاتبًا ــ على كثرة من ظلمهم ــ كما ظلم علي أحمد باكثير صاحب المغامرات الكثيرة في دنيا القلم وعالم الكتابة. وقد ظُلم باكثير حيًا، فقد تناساه النقاد أو تعمدوا نسيانه رغم كتبه التي جاوزت الأربعين، ورغم محاولاته في دنيا المسرح ودنيا الرواية وعالم الشعر الرحب.. وهذا الموقف الظالم من واحد مثل علي باكثير إنما يمثل تمثيلاً صحيحًا مرض العصر في دنيا النقد الأدبي. كان علي باكثير صاحب

(١) مجلة الإذاعة، العدد ١٣٤٥، ٢٤ ديسمبر ١٩٦٠م.

موقف في الحياة وفي الفكر، ومن هنا بدأت متاعبه وابتدأ طريق آلامه الذي لم ينته بعد انتهائه هو.. وأصحاب المواقف في الحياة والفكر لا يرضون إلا ضمائرهم ولا يكتبون إلا من وحي إيمانهم بما هو وفاء لما يؤمنون ويعتقدون به.. عانى باكثير لأنه كان يؤمن بأصالة الفكر الإسلامي، ولأنه كان يؤمن بأصالة الارتباط القومي، ولأنه كان يؤمن بأصالة مصر التي أحبها وأصبحت وطنه ودنياه، بل وأصبحت عقيدته التي تسرى في كيانه مسرى الدم.. ولست أعتقد أن هناك كثيرين من أدباء عصر باكثير قد اتضحت لديهم الرؤية مثل اتضاحها بالنسبة له.. ولست أعتقد أيضًا أن كثيرين من أدباء جيله قد حظوا بهذا السلام الفكري النابع عن الإيمان الواضح بأشياء محددة مثلما حظى هو.. وربما كان هذا الوضوح في الفكر وذلك الوضوح في الموقف هو الذي سبب الموقف السلبي لكثيرين من النقاد الواعين الذين عاصروه في الاهتمام بما يكتب وبما يبدع.. لقد كان باكثير في حياته يسمع من أصدقائه وأحبائه عبارات العزاء فيما يلقى من عبث المتعصبين الذين لا يرون أبعد من أنوفهم المحمرة من فرط نزلات البرد الوافدة، كما كان يلقى عبارات العزاء فيما يلقى من جهل وعبث الرجعية والبيروقراطية التي حاربته وحاربت فكره لأنه يمثل بالنسبة لها قيما ثورية تكرهها وإيمانًا عميقًا لا تعرفه، ونظافة في الروح وطهارة في اليد لا تفهمها»(١).

وأشار وديع فلسطين في نعيه لباكثير إلى قضية أعمق من مجرد التفكير في الهجرة إلى لندن وهى الكتابة باللغة الإنجليزية:

«مات على أحمد باكثير، فيا لوعتاه .. انتهى الأديب الشاعر، المسرحي، المترجم الباحث. انتهى الرجل العظيم بعلمه الذي ملأ الدنيا شعرًا وشغل الناس بفنه وأدبه.. وأكثر ما لوعني من وفاة باكثير أنه مات حزينا كاسف البال.

(١) صحيفة أخبار اليوم، الملحق الأدبي ١٥/١١/ ١٩٦٩م، القاهرة.

فالأحاديث التي جرت بيننا في أخريات لقاءاتنا كانت عامرة بأسباب الضجر حتى لقد فكر في أن يكف عن الكتابة العربية إلى الكتابة بالإنجليزية التي يتقنها، وفكر في أن يختار لنفسه دارا تنأى به بعيدا عن الناس بعدما نقموا عليه منذ ما أخرج مسرحية «حبل الغسيل» بل قبل ذلك وبعد ذلك وإلى يوم منيته»(١).

ولم نعرف للكثرة من أصدقاء باكثير ورفاق دربه كلمة حق في حياته إلا من قلة كان في مقدمتهم صديقه وصفيه د.عبده بدوى الذي لزمه في سنوات الحصار بعد أن رأى السامر ينفض من حوله، والأصدقاء يتحاشونه الواحد بعد الآخر خوفا من أن يمسهم ما مس باكثير. عبر محمد عبدالحليم عبدالله عن هذه الحقيقة بصراحة ووضوح غداة وفاة باكثير فقال: «كان باكثير عربيا دخل مصر الكريمة لكنه لم يشعر بأواصر الصداقة التي عقدها بين نفسه وبين المشهورين من كُتّاب جيلنا — عفا الله عنهم — لم يشعر أنها قادرة على أن تعطيه كل ما يريد لذلك كنا نرى حياته في العشر السنوات الأخيرة يظللها رضا المغلوب أو تناوشها ثورة المحموم غير المنتظمة.. رأيته كثيرا وهو(يخربش الهواء) وسمعته يتحدث عن العودة إلى موطن مولده، سمعته يقول كلاما وهو مقطب الجبين ثم يقهقه..!»(٢).

وبمقدار ما كان التزام باكثير ووضوحه كانت الحملة عليه أكثر قسوة وشدة، وكان أكثر أدباء عصره استهدافًا واضطهادًا، ولهذا ارتبطت مأساة باكثير وقضية اضطهاد أعماله بالحقبة التي تسلط فيها اليسار على أجهزة الثقافة وخاصة المسرح، وهي القضية التي تعرض لها العديد من الأقلام المنصفة في الصحف والمجلات وأصبحت عبارة «مأساة باكثير» رمزًا لاضطهاد الكفاءات الأدبية والفنية. ولكن لم يستطع أحد تناول هذه الحقائق بوضوح إلا بعد وفاته

(١) مجلة الأديب، عدد يناير ١٩٧٠م، بيروت .
(٢) مجلة الهلال، المرجع السابق.

سنة ١٩٦٩م، وبوضوح أكثر بعد وفاة جمال عبدالناصر سنة ١٩٧٠م. وهناك من يحددها بحركة ١٥ مايو ١٩٧١م التي قام بها السادات. فهذا هو علاء الدين وحيد يقول:

«لماذا كان علي أحمد باكثير بالذات، من أكثر الذين هاجمهم الإرهاب الفكري بضراوة؟ تساؤل يخطر على البال وهو يذكر كيف كان الفنان الكبير كما هو معروف شديد الهدوء والحياء، لا يفكر في المساس بأحد مهما أساء إليه. والجواب يشكل في الحقيقة ما كانت عليه حياتنا الثقافية من دعاوى مزعومة وتسلط منابر وشلل ظاهرة ومختفية، تتجمع كلها في اتجاه واحد تحاول أن تلغي ما عداه.. لا بالحوار الصريح الموضوعي، بل بإقصاء أسماء وتحطيم فنانين و«تلميع» ملتزمين بالفكر المستورد. وكان يتجمع في إهاب باكثير أشياء كان الإرهاب لا يعرف كيف يهاجمها بالباطل كما فعل مع وجوه مشرقة في أدبنا المعاصر، اتهمت بأن كتاباتها جنسية أو رومانسية أو غير ملتزمة أو بلا منهج أو غير مثقفة! فكما أن كاتبنا الكبير فنان صاحب موهبة أصيلة، فهو أيضا صاحب فكر مبلور ورؤية متكاملة تكون فلسفة واضحة لم تتناقض منذ صباه وحتى وفاته»(١).

وهذا هو الناقد الفني عبدالفتاح البارودي يكتب في عموده الشهير بجريدة (أخبار اليوم) عدة مقالات يطرق لها الأسماع بهذه القضية منها مقال بعنوان «لماذا ظلمنا باكثير؟!» يقول فيه:«ابتداءً من المرحلة التي سيطر فيها أدعياء الماركسية على مسارحنا، لم تظهر مسرحياته ــ (يقصد باكثير) إطلاقًا على مسارحنا لسبب واحد، وهو أنه ليس ماركسيًا!! ورغم أن جميع مسرحياته التي عرضت قبل تفشي الماركسيين في مسارحنا نجحت كلها فنيا وجماهيريًا.. وحتى في الفترة التي سيطر فيها الماركسيون علانية اضطروا إلى استضافة يوسف

(١) وحيد، علاء الدين، مسرحيات في الوهج والظل، سلسلة كتاب الهلال، العدد ٣٠٦، يونيو ١٩٧٦م، القاهرة، ص ٣١.

وهبي لتغطية فشلهم الذريع فاختار يوسف وهبي مسرحية «سر الحاكم بأمر الله»..؟!!»(١).

ويشهد أنيس منصور بأن العصابات الفكرية وغير الفكرية كانت المسئولة عن مأساة باكثير وعن تجاهل النقاد له فيقول في مقال بعنوان «لم ينل باكثير ما يستحق من التقدير»:

«لم ينل علي أحمد باكثير ما يستحقه من التقدير.. وليس العيب فيه، وإنما العيب في زمانه والناس وفي القضايا التي يعرضها ويوضحها أي يدفعها ويدافع عنها حتى لا تموت في دنيا الصراخ والمحسوبية والعصابات الفكرية وغير الفكرية. ولم ينل باكثير ما يستحقه من التقدير، فكان الصمت على أعماله نوعًا من إقناع باكثير بالصمت هو أيضًا.. أو بالاستعدادات للموت. فكأن باكثير قد مات قبل أن يموت.. ومن المؤكد أن فنانًا بهذا الصدق والأصالة، لا يموت لصمت ناقد أو نقاد. فليس النقد هو الذي كتب له شهادة ميلاده وإنما الفن هو الذي ولده ورباه وأنضجه وسوف يبقيه..» (٢).

ويقرع الشاعر د. عبده بدوي (١٩٢٧-٢٠٠٥م) الأسماع أكثر من مرة عندما تمر ذكراه بصمت مذكرًا الضمير الأدبي بمأساة باكثير بصفته أحد شهودها: «كان هناك تصميم على تنحية باكثير عن عرشه المسرحي، ثم عاش بعد ذلك أعوامًا نحسات، لم يجب فيها أحد دعاءه، لم يكشف إنسان السوء الواقع به، وكان أن حول مأساته إلى مداد صرخ به كثيرًا حتى لفظ كلمته الأخيرة وتمزق دونها، فكان مقاله في السنوات الأخيرة في حياته مليئًا بالمرارة والانكسار، ولكنه كان في كل مقال ــ في حدود الفن ــ محاكمًا لفترة من العصر ومجادلاً لكل الذين جهروا له بالقول.. وبالسيف!! ذلك لأن الكثير منا

(١) صحيفة أخبار اليوم ١٩٨٤/١١/٢٠م، القاهرة.
(٢) صحيفة أخبار اليوم، ١٩٦٩/١١/١٤م، القاهرة.

رأى دمه يُراق ظُلما على أعماله، وراوا أن من كانت تسول له نفسه بالذود عنه كان تطير أصابعه، ورأوا أن الذين أهدروا دمه ثم قتلوه كانوا أشد عليه من وقع الحسام... ثم إن بعض الذين بقوا عليه كانوا في الواقع يبكون على أنفسهم

وفي ضوء هذا تظل قضية إبعاد باكثير عن المسرح، وإبعاده عن الوظيفة التي تليق به في العمل، وإبعاده عن كافة دوائر الضوء ـــ جريمة من جرائم العصر، وعارًا معلقًا على الحياة الأدبية .. رحم الله باكثير فقد قُتل بضراوة قاتليه، وبينما يلف العدم كل الذين خاضوا في دمه، نراه ينهض بأعماله جليلاً مهابًا، وقادرًا على الاستمرار والتألق في صميم الحياة الأدبية»(١).

وبالفعل وبعد رحيل باكثير بأربعين عاما تحققت هذه الرؤيا المستقبلية المؤمنة بنصرة المظلوم التي بشّر بها عبده بدوي فكان هذا الإجماع بين أدباء العرب والمسلمين ويتمثل في هذا المؤتمر الدولي الذي يقيمه الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب ورابطة الأدب الإسلامي العالمية وهو أول احتفالية بهذا المستوى يقام لأديب عربي على الإطلاق .. رحم الله علي أحمد باكثير فقد مات مقهورا ويعود الآن منتصرًا ..

(١) مجلة الهلال، عدد نوفمبر ١٩٧٤م، القاهرة.